نورس للترجمة يقدم: التحول في منظور الحرب: الحرب الهجينة

جامعة الدفاع الوطني التركي – 2017

ترجمه لمركز نورس: أ. ضرار الخضر – أحمد علي

توطئة:

ما يبقى مفقودًا في أي نوع من التعريف الناتج عن التغييرات في مستويات الفهم والإدراك ينطبق أيضًا على الحرب. ومع ذلك، فإن هذا المفهوم النسبي الذي لم يتم تعريفه بالكامل في الأدبيات حتى الآن، له نقاط عديدة تتفق فيها الآراء وتتغير هذه النقاط وفقًا لسرعة التغيير في البيئة الدولية. الخصائص المتطورة وكذلك الخصائص التقليدية وتلك التي يمكن أن تكتسب مجموعة واسعة من الدلالات المناسبة للغرض المطلوب – أي ظاهرة الحرب– تطلّبت خصائص جديدة. وبهذا المعنى، أصبح فحص وتحليل فن الحرب منهجياً بشكل يربط الماضي بالحاضر والمستقبل؛ أكثر أهمية يومًا بعد يوم.

إن مفهوم "الحرب الهجينة"، الذي ظهر بفضل المفاهيم المتمايزة اليوم والتطورات التكنولوجية السريعة التي تستخدم فيها الوسائل المتّسقَة والوسائل غير المتماثلة معًا، يؤدي إلى مقاربات جديدة في الفكر العسكري. أعتقد أن هذا المنشور، الذي يتم جمعه من قبل الأكاديميين والخبراء العاملين في الدراسات العسكرية والأمنية على الصعيدين الوطني والدولي، سوف يسهم في تحسين فهم الموضوع وسيوفر أيضًا ميزات بنَّاءة ووظيفية من خلال خلق وجهات نظر مختلفة تجاه بيئة التشغيل المستقبلية.

نتيجة لذلك، عندما نعدُّ أنفسنا للبيئة القتالية في المستقبل، يجب علينا أولاً تحديد التهديد وفهمه، ثم وضع استراتيجيات وتكتيكات لهذا التهديد، وأخيراً، يجب أن يكون لدينا أفراد مدربون وأسلحة قتالية ومعدات مناسبة لتنفيذ هذه الاستراتيجيات والتكتيكات. يجب ألا ننسى أبدًا أن الطريقة الوحيدة الممكنة لكسب حروب المستقبل هي تطوير تفاهم مشترك بين المدنيين والعسكريين من مستوى الأفراد إلى مستوى الدولة ضمن نهج شامل.

أود أن أشكر مؤلفي المقالات وأيضًا أفراد الكلية الحربية الذين ساهموا كثيرًا في نشر "تحوُّل نموذج الحرب: الحرب الهجينة".

البروفيسور: إلهان أفيونكو, رئيس الجامعة الوطنية للدفاع.

مقدمة:

إن العولمة والتطورات التقنية وثورة المعلومات جعلت العالم يَقبَل نظام التغيير الذي لم تشهده البشرية من قبل. لقد أثّر هذا النظام على كل شيء تقريبًا في حياتنا المفاهيمية التجريبية ولم يكن مفهوم الحرب استثناءً لذلك. وظهر مفهوم "الحرب الهجينة" كمنتج لهذا التغيير في الكتابات عام ٢٠٠٧. ويعكس مفهوم "الحرب الهجينة" الذي استخدمه فرانك هوفمان للمرة الأولى، نوع الحرب التي تُستَخدَم فيها عدة أنواع من الحروب في وقت واحد بأفضل طريقة تناسب الظروف الحالية. وفي هذا السياق، لا معنى لتصنيف الحروب على أنها حروب كبيرة / صغيرة أو حروب نظامية / غير نظامية. يقول هوفمان إنه في الفترة المقبلة، ستكون القوات التقليدية والحروب غير النظامية والجماعات الإرهابية ومنظمات الجريمة موجودة في نفس منطقة العمليات ونفس الزمن. وضمن هذا السياق، **فإن الميزة الأبرز للحرب الهجينة هي مزج أساليب الحرب غير النظامية مع التقنيات المتقدِّمة. ولن تظل الحرب الهجينة مقصورة فقط على الجهات الفاعلة غير الحكومية، ولكن في المستقبل؛ ستستخدمه الدول الضعيفة ضد الدول الأكثر منها قوة.**

تأخذ الحرب الهجينة مكاناً مرموقاً في جدول أعمالنا مؤخّرًا وتؤثّر على الوثائق/ المفاهيم الاستراتيجية للمنظّمات الإقليمية والدولية والجيوش الوطنية، ولها أبعاد سياسية وقانونية وثقافية وتقنية لا تزال قيد المناقشة. وضمن إطار التفكير بالمساهمة في هذه المناقشات، تم إعداد هذا الكتاب من خلال تجميع المقالات التي كتبها خبراء وضباط / مدنيون متميزون بتنسيق من جامعة الدفاع الوطني، الكلية الحربية. تهدف هذه الدراسة إلى المساهمة في هذه الكتابات من خلال فتح نوافذ جديدة على المستوى المفاهيمي وتحفيز الجمهور، الذي تتم معالجته من خلال المسار الذي تؤديه هذه المقالات ومن خلال الأسئلة التي تثيرها وتجلي النظر. يتكون هذا الكتاب من عشرة مقالات تم تجميعها في ثلاثة فصول: "تغيير طابع الحرب"، "الجوانب القانونية والاجتماعية والثقافية والعسكرية للحرب الهجينة والرؤية الاستراتيجية "، و "والتقنيات والحرب الهجينة".

يتضمن الفصل الأول "تطور التهديدات الهجينة عبر التاريخ" لروبرت جونسون "الفأر والدبابة والسوق التنافسية: رؤية جديدة للحرب الهجينة" بقلم جراهام فيركلوغ، وهل الحرب الهجينة هي مما

بعد الحداثة؟ إعادة النظر في التاريخ العسكري الأوراسي الحديث "بقلم جولتيكين يلديز. يفسِّر هذا الفصل الذي يحمل عنوان "الطابع المتغير للحرب" تطور الحرب وخصائص الحرب الهجينة وتاريخها وأمثلة الحرب الهجينة في أوراسيا. خاصةً أمثلة الحرب الأهلية الأمريكية وثورات الهاشميين ضد الإمبراطورية العثمانية خلال الحرب العالمية الأولى[١]، والتي قدمها جونسون اعتمادًا على حقيقة أن هذا المفهوم ليس جديدًا وأنه لا يزال قائماً من خلال تغيير الشكل، هي ملفتة للنظر بشكل خاص. يصمم فيركلوغ نموذجًا للحرب الهجينة باستخدام المفاهيم الاقتصادية للسوق التنافسية والاندماج التقني. يدرس جولتكين يلدز الحرب غير النظامية والمركّبة والهجينة ضمن العملية التاريخية ويشرح حقيقة أنها ليست شيئًا جديدًا في الجغرافيا الأوراسية[٢] من خلال تقديم أسبابها وأمثلة لها.

يتألف الفصل الثاني من مقال "الجوانب القانونية للحرب الهجينة" بقلم محمد جنكيز أوزون، و"الجوانب الاجتماعية للحرب الهجينة" بقلم ديفيد سيجال، و"الحرب الهجينة والثقافة" بقلم أفضل أشرف، و"القيادة والسيطرة" بقلم يافوز توركيننسي وهانسيري سايا. وتحت عنوان: "الجوانب القانونية والاجتماعية والثقافية والعسكرية للحرب الهجينة والرؤية الاستراتيجية" يحلل هذا الفصل مكانة الحرب الهجينة في القانون الدولي بإسهاب، ويدرس الجانب الاجتماعي والثقافي للموضوع، ويوضّح الصعوبات الرئيسية في الجانب العملياتي للحرب الهجينة ويوفر اقتراحات لقيادة وسيطرة فعالة.

يتكون الفصل الثالث من "التقنيات الصاعدة في سياق الحرب المستقبلية / الهجينة" لمؤلفه آلان شافير، و"تطور الحرب الهجينة والعربات المدرعة: قابلية الحركة والقدرة على التحمل" لهالدون أولغون وهاكان تيكين، و "الحرب السايبرانية في سياق الحرب الهجينة" بقلم سليمان أنيل. ويقدم هذا الفصل الذي يحمل عنوان "التقنيات والحرب الهجينة" معلومات عن منظمة حلف الناتو للعلوم والتقنيات ومجموعات العمل السبعة التابعة لها، ويغطي التنبؤات التقنية للمستقبل، والعربات المدرعة والوسائل الإلكترونية بالتفصيل.

---

[١] ما سُمّيَت **الثورة العربية الكبرى** التي قادها الشريف حسين بدعم من انكلترا، مع وعود بإعطائه دولة، انطلقت في شهر حزيران من سنة ١٩١٦، وقدّمت انكلترا للشريف حسين المال وضابط مختص بالتفخيخ يدعى لورانس والكثير من الوعود الكاذبة بدولة يحكمها الشريف حسين.

[٢] **الجغرافية الأوراسية** هي الدراسة التي تتناول آسيا وأوروبا كقارّة واحدة.

تتمثل أبرز ملامح الحرب الهجينة في استخدام أساليب وأدوات جديدة، وطمس الخط الفاصل بين المدنيين والعسكريين، وتحديد مكانة العديد من الجهات الفاعلة من غير الدول إلى جانب الدول. تتمثل المقاربة الأساسية التي تشكِّل فلسفة الحرب الهجينة في الاستفادة من الحركات غير المتوقعة باستخدام جميع أنواع الهجمات وتجنب السلوكيات المتوقعة. مع الأخذ في الاعتبار هذه الميزات وهذه المقاربة، من الصعب للغاية القول أن الحرب الهجينة هي نوع جديد من الحرب، وتُبرِزُ العديد من المقالات في هذا الكتاب هذه النقطة مرارًا وتكرارًا. وفي هذه المرحلة، تجدر الإشارة إلى أننا يجب ألا نقع في فخ نسيان القواعد الأساسية للماضي أو تأجيل عملية التركيز على مناقشة المستقبل، بينما نناقش المفاهيم الجديدة. من المناسب هنا تَذَكُّر التحذيرات التالية: "دعونا نبني على ما هو أكيد ومعروف عن الحرب، وألا ننخدع بما يبدو أنه جديد وغامض" (على حد تعبير روبرت جونسون). "يجب ألا يحد نقاش الحرب الهجينة من زاويتنا في الصراع الحديث في كيف نرى الصراع الحديث الآن أو في غضون خمس سنوات" (قالها: سليمان أنيل).

إن الاستعداد لمواجهة الخطر والتهديدات التي تشكِّلُهَا البيئة العملياتية في المستقبل يتطلّب، أولاً وقبل كل شيء تحديد وفهم البيئة المعنيّة. فالتطورات التقنية والترتيبات الهيكلية ليست سوى عناصر مكمِّلة إلى جانب العنصر البشري (القادة والمخططين والمنفِّذين) في عملية التحضير هذه. الاستثمار في الناس، موردنا الأكثر قيمة هو أهم أولوياتنا وأهم مهمة. نحن نقدِّم هذا الكتاب لكي يستفيد منه الأشخاص في الدوائر الأكاديمية والعسكرية بقصد المساهمة في النقاش وتخيُّل بيئة الصراع في الحاضر والمستقبل.

الفصل الأول

الطابع المتغير للحرب

تطور التهديدات الهجينة عبر التاريخ

بقلم روبرت جونسون

الحرب الهجينة هو مصطلحٌ يزداد تداوله في السنوات الأخيرة. كان أنصاره الأوائل حريصين على التأكيد على أن استخدام التقنيات الجديدة أو الأساليب السرية الجديدة أو أعمال الفاعلين الجدد، ممن ينشطون بأعمال دون مستوى عتبة النزاع المسلح، على أن استخدام هذه الأمور تمثل مزيجاً أو هجيناً من التمرد والحرب التقليدية (هوفمان، ٢٠٠٩). ومع ذلك ففي نواحٍ كثيرة، لا تمثّل الحرب الهجينة أمراً جديداً. تم تصميم التهديدات الهجينة – وهي عدة أساليب هجومية مدمجة أو هجينة – باستخدام "طرقٍ" معينةٍ لتحقيق "غاياتٍ" سياسيةٍ يمكن تحديدها بسهولة، لغرض إجبار العدو على الامتثال لإرادة خصمه. ومِثلُ هذا الإجراء أمرٌ مألوفٌ لدى علماء نظرية الحرب الكلاسيكية (Gat، ٢٠٠١).

ومع ذلك، يُصِرُّ دعاة الحرب الهجينة على أن الطابع الحالي للحرب يشير إلى وجود تآكل وتخريب للمعايير والعتبات الراسخة، ولا تشمل القتال الحربي فحسب، بل تشمل أيضًا العلاقات الدولية. (جونسون، ٢٠١٤) تتخذ هذه العناصر التآكلية خمسة أشكال: **الأول** سياسي، مثل تخريب اقتصادنا السياسي عن طريق التضليل أو التخريب الإلكتروني أو التجسس. و**الثاني** يأخذ شكلاً دبلوماسياً، لا سيما محاولة فض التحالفات أو إثارة الانقسام بين الحلفاء. و**الثالث** يأخذ شكل الوسائل العسكرية، باستخدام القوات المحلية غير النظامية، أو القوات الخاصة بالدولة في التمويه أو التخريب أو الاغتيال أو خوض الحرب بالوِكالة، أو تطبيق سياسة حافة الهاوية أو الإرهاب.

الرابع هو البعد الاجتماعي، وذلك باستخدام الحملات الإعلامية لتثبيط شعوبنا. **الخامس** هو الهجوم الاقتصادي، وذلك باستخدام العقوبات، أو شراء أصولنا، أو شراء الموارد أو حتى التلاعب بالأسعار التي يدفعها المستهلكون لدينا. كل هذا يبدو هائلاً وخَطِراً، وسبب ذلك تحديدا هو أن هذا الأمر يفوق قدرة القوات العسكرية على مجابهته. وفي الواقع يبدو أن الأداة العسكرية أقل فعالية وملائمة من التدابير الدبلوماسية أو الاقتصادية أو السياسية.

إن هذه المشكلات تغري بمعالجة أعراضها فقط دون علاج جذورها. فعلى سبيل المثال، إذا واجهت ما يسمى بـ "الرجال الخضر الصغار" (القوات النظامية للدولة المعادية يتنكر جنودها من خلال ارتداء اللباس الرسمي لوكلائها أو يظهرون دون تحديد هويتهم)، فإن التفضيل العسكري سيميل لمواجهة ومحاربة هؤلاء الرجال الخضر الصغار ". وعلى المستوى التكتيكي، قد يكون من المفيد هزيمة هذه الوحدات الغامضة وتدميرها، ولكن يجب على المرء أن يحذر من استراتيجية العدو الواضحة المتمثلة في محاولة جذب القوات إلى العدو والتغلب عليها أو اجتذابها إلى وضع لا يعزز إلا من دعايات العدو. (جايلز، ٢٠١٥)

الحل الأفضل هو أن تبقى استراتيجياً. أي التركيز على "غايات" العدو وليس "طرقه ووسائله". يجب أن يكون الغرض هو حرمان العدو من تحقيق هدفه الاستراتيجي. وهذا يتطلب فهم نوايا العدو وأهدافه والعلاقة بين "الوسائل" و "الغايات".

أمثلة تاريخية للحرب الهجينة:

هناك سوابق تاريخية يمكن أن تساعد في التعامل مع المشاكل الهجينة. سنأخذ الثورة الأمريكية كمثال أول. تحولت سلسلة من الاحتجاجات الاقتصادية في سبعينيات القرن الثامن عشر إلى انتفاضة سياسية على الرغم من العروض المتأخرة للتنازلات السياسية من قبل حكومة المملكة المتحدة. لأن البريطانيين اعتقدوا أن أمنهم في خطر، فقد قاموا بإرسال القوات التقليدية لنزع سلاح المستعمرات الأمريكية الغاضبة وتشكيل حاميات عسكرية تعمل ضدهم. ومع ذلك زادت المقاومة، ولم يكن بإمكان التعزيزات التي تم إرسالها من بريطانيا فعل شيء غير السيطرة الموانئ والمدن

الرئيسية في البلاد. (موراي ومنصور، ٢٠١٢) وفي كل مواجهة عسكرية وجد الوطنيون الأمريكيون أنفسهم يتعرضون للقتل على أيدي القوات البريطانية التقليدية. لذا، اعتمد الثوار الأمريكيون استراتيجية مختلفة تتألف من ثلاثة أجزاء (كوهين، ٢٠١١).

الأولى كانت سياسية، لإقناع المستعمرين بدعم الثورة وإقناع السياسيين البريطانيين بوقف الحرب، وتم ذلك عبر إصدار منشورات وإلقاء الخطابات الشفهية فيما نعتبره اليوم أشبه "بوسائل التواصل الاجتماعي" في القرن الثامن عشر.

الثانية: كانت هجوماً دبلوماسياً، فقد كان الهدف من الثورة هو الحصول على دعم فرنسي، من أجل إشغال البحرية الملكية التي اعتمدت عليها الحامية البريطانية للحفاظ على احتلالها وحملتها العسكرية.

كان **الجزء الثالث** هو شن حرب عصابات، واستنفاد الاحتياطيات البريطانية المحدودة، مع بناء قوة خاصة بهم في نفس الوقت، وبناء المؤسسات السياسية لتحويل الولاء المحلي بشكل دائم عن البريطانيين.

مع ذلك، لم يكن العنصر الحاسم في هذه الحرب، تهجين الأساليب، سواء كانت حربًا دبلوماسية أو سياسية أو حرب عصابات. بل كانت في الواقع التغيير الاستراتيجي، وبالتحديد اللحظة التي دخلت فيها فرنسا الحرب ضد بريطانيا في عام ١٧٧٨، حيث اضطُرّت بريطانيا لتحويل مواردها لحماية منطقة البحر الكاريبي وطرقها إلى الجزر البريطانية نفسها. بمعنى آخر، لدحر الحرب الهجينة كان على البريطانيين التركيز على حل سياسي أو استراتيجي. فهم الأميركيون ذلك، لكن البريطانيين لم يفعلوا، ونتيجة لذلك خسروا.

مثال آخر هو التمرد الهاشمي ضد الإمبراطورية العثمانية خلال الحرب العالمية الأولى. في هذا المثال، لم يستجب العرب – الذين شكلوا جزءًا مهمًا من الإمبراطورية العثمانية – بالعموم لدعوة الخليفة سلطان الإمبراطورية التركية إلى حمل السلاح عام ١٩١٤. (جونسون، ٢٠١٦، ص.٧٦)

على الرغم من وجود أعداد كبيرة من العرب الذين يخدمون في الجيش العثماني، فإن القوميين العرب في سوريا وبلاد ما بين النهرين كانوا يعارضون بالفعل النظام العثماني، وبدأت حركة سرية داخل الجيش العثماني حوارًا مع العدو البريطاني. كما رفض الشريف حسين الهاشمي – شريف مكة – تأييد دعوة الخليفة لحمل السلاح، وبعد محادثات سرية مع البريطانيين، وظنه بأن السلطات العثمانية ستصفّيه، أعلن حسين استقلاله ضد الإمبراطورية في يونيو ١٩١٦. استولى الهاشميون على مكة واستخدموا شكلاً من أشكال الحرب الهجينة، في محاولة لإحباط معنويات الجيش العثماني وفي الوقت نفسه محاولة الطعن في شرعية أو سلطة دعوة السلطان لحمل السلاح في تلك الحرب. وشملت أساليبه الهجينة ليس فقط تجنيد العشائر العربية المرتبطة به ولكن أيضًا الحصول على أموال وأسلحة بريطانية، خاصة الأسلحة الثقيلة والقوات الجوية والدعم البحري واللوجستي.

جنَّد الهاشميّون عشائر بدوية مختلفة لإعطاء انطباع عن الوحدة العربية، على الرغم من أنهم يمثلون مجموعة صغيرة واحدة من سلالة، واستطاعوا إشراك حوالي ١٥٠٠٠ رجل في الثورة العربية. ولكن كان هناك ما لا يقل عن ٣٠٠٠٠٠ لا يزالون يقاتلون إلى جانب الإمبراطورية العثمانية خلال الحرب. في الواقع، حقق جمال باشا – الحاكم العثماني لسوريا – بعض النجاح في إقناع عدد من المجموعات العربية بالبقاء موالين للإمبراطورية العثمانية، في فلسطين وسوريا وبلاد ما بين النهرين وشبه الجزيرة العربية. (جونسون، ٢٠١٦، ص. ٢٣٠)

ومع ذلك، فإن الثوار العرب وبدعم من البريطانيين، سيطروا على العقبة عن طريق المفاوضات على استسلام الحاميات العثمانية الصغيرة المعزولة، واعتمد جيش العربي الشمالي – كما أصبح يعرف لاحقًا – على النجاحات العسكرية البريطانية لإحراز مزيد من التقدم، خاصة في فلسطين. حتى أنهم زعموا انتصارهم السياسي في دمشق في أكتوبر عام ١٩١٨. بالطبع، حصلوا على بعض الاعترافات من البريطانيين، وليس الفرنسيين، في الأشهر القليلة الأخيرة من الحرب، ثم بسلام عام ١٩١٩. وبعبارة أخرى، لقد حققوا أهدافهم الاستراتيجية من خلال الأساليب الهجينة. (روجان، ٢٠١٥، ص.٨٢) لم تتعامل الإمبراطورية العثمانية مع "الغايات" الهاشمية لأنهم كانوا منشغلين في

التعامل مع "طرقهم ووسائلهم". كما انخرطت حكومة السلطان أيضًا في صراع وجودي على جبهات متعددة ولم تضع أولوية للثورة الهاشمية.

ما الذي يمكن أن نستنتجه من هذين المثالين التاريخيين الموجزين؟ بادئاً بذي بدء، في هذه الحالات كانت الحرب السياسية مهمة حالها حال العمليات العسكرية. ولكن من الواضح أيضًا في كلا المثالين، أن الطرق غير التقليدية لوحدها – وهي الطرق الهجينة – لم تكن كافية لضمان النصر. لقد كان وجود الحلفاء الخارجيين حاسماً في تحقيق النصر في كلتا الحالتين. لذلك، إذا حاول المرء الجمع بين الإجراءات السياسية وحملة التضليل، بما في ذلك استخدام التكذيب (الإنكار) الحكومي، والعمليات العسكرية المحدودة ولكن الخاطفة، مع مزيج من الوسائل التي ستُثقِل كاهل قيادة العدو وسيطرته، واستغلال انقسامات المجتمع وفوارقه الطبقية، فإنه سيصبح لدينا استراتيجية هجينة يمكن أن تكون ناجحة بالفعل.

ما نستمده من هذا هو التعريف الكلاسيكي للحرب الهجينة. وهناك العديد من الأمثلة في التاريخ لاستخدام هذه المقاربة. لكن "غايات" هذه الأساليب – أي الغرض من وراء الحرب الهجينة – نفسها لا تتغير؛ وهي الأهداف السياسية. إذ يمكن تمييزها ويمكن مواجهتها بطرق ووسائل أخرى. بمعنى آخر، يمكن للمرء استعادة التوازن بشكل استراتيجي من خلال احتواء الأساليب الهجينة أو حتى تجاهلها مع التركيز على ما يحاول العدو القيام به على المستوى الاستراتيجي.

لو أن البريطانيين في الفترة ١٧٧٥–١٧٨٣ ركزوا على تقديم اعترافات سياسية وكسب ولاء المستعمرات، أو توجيه ضربة استراتيجية حاسمة لفرنسا، لكانت نتيجة الثورة الأمريكية ستتغير جذريًا. علاوة على ذلك، لو أن السلطات العثمانية نجحت في إقناع الفصائل الثورية العربية بالتخلي عن قوى الحلفاء، ربما بعروض الاستقلال بعد الحرب أو الحكم الذاتي، لكان الواقع أمراً آخر.

طبيعة الحرب:

هناك ثلاثة مجالات ربما، لدراسة هذه المشكلة: المادي والنفسي والمعرفي والعقلي.

أولاً، الحرب نشاط مادي، يتكون من القوات والنيران والتقنيات. يمكن للمرء أن يقول أن الحرب يتم خوضها "بأدوات" الجنود. العناصر المادية هي الأكثر وضوحا وملاحظة. في الحرب العالمية الأولى، كانت الإمبراطورية العثمانية تفتقر إلى القدرة الصناعية لشن حرب شاملة. فبعد تفوقها الأوّلي في الأعداد، استسلمت إلى التفوق الناري والمادي لقوات الحلفاء.

ثانياً، الحرب نشاط نفسي ينطوي على المشاعر والعاطفة والإيمان والمعنويات. فالحرب بكلام آخر، تُخاض في "قلوب" الرجال، فمشاعر الحرب هي أصعب ما يمكن مواجهته. ولكن يمكن للمرء أن يستغل ميول (اندفاع) عدوه ويجرّه إلى مواقف لصالحه, ففي معركة حطين عام ١١٨٣ مثلاً، لاحظت قوات المسلمين قوة الجيوش الصليبية الغربية واندفاعهم للقيام بعمل هجومي، فمن ثم استدرجتهم إلى الصحراء حيث يمكن تدميرهم بسبب نقص المياه والدعم. على الرغم من كل حماسة الصليبيين، تعلَّم المسلمون كيفية تحويل تفوق العدو إلى مقتلهم.

ثالثًا، الحرب نشاط "عقلي". يتم خوض الحرب في "عقول" الرجال، حيث أن العقل (المنطق) والاتصالات الاستراتيجية والخطط والتكتيكيات تَظهَرُ جلياً. الأولوية الأولى هنا هي البحث عن خطة الخصم أو هدفه أو التعرف عليها، في حين أن الأسلوب يمثِّل الأولوية الثانية فقط, فيجب أن يكون الرد هو مواجهة الهدف وليس مواجهة الأسلوب.

في حالة التمرد الهاشمي عام ١٩١٦، حاول جمال باشا، مواجهة الأساليب التي يستخدمها المتمردون العرب، لا سيما عن طريق تجنيد العشائر العربية الأخرى، وحقق بعض النجاح في عرضه لحل الانفصال بين الشعوب العربية والتركية, فتراجعت عناصر من العشائر مثل بني صقر والحويطات عن دعمهم للثورة. وحقق العثمانيون، على الرغم من هزيمتهم في حملة فلسطين، فوزًا كبيرًا باستخدام هذه التدابير المضادة في معركة عمّان عام ١٩١٨، حيث لم يتمكن الجنرال اللنبي في البداية من السيطرة على المدينة، ومع ذلك، ومن خلال عدم معالجة الغايات الاستراتيجية للثورة

العربية أو الاستخدام البريطاني للهاشميين في فلسطين وسوريا، فقدت السلطات العثمانية المبادرة. حيث لم يكن لديهم تدابير خاصة بالعناصر المادية أو العقلية.

امتلك البريطانيون قوة مادية أكبر في الثورة الأمريكية، ومن الناحية الواقعية البحتة كان من المفترض أن يكونوا قادرين على تقديم حزمة اقتصادية وسياسية أفضل من الثوار، لكنهم افتقروا هنا إلى القدرة على استعطاف الدوافع النفسية للثورة. في الواقع، شكك بعض الضباط العسكريين في أن "الوسائل" المتاحة يمكن أن يكون لها أي تأثير إيجابي، أي القوات المسلحة لبريطانيا العظمى. المطلوب إذاً هو استراتيجية شاملة تشمل العناصر الثلاثة.

المقاربة الاستراتيجية

الأساليب الهجينة شائعة عبر التاريخ. الغايات والأهداف واضحة ويمكن تحدّيها ومواجهتها من خلال مجموعة متنوّعة من الاستراتيجيات. ينبغي على المرء أن يسعى إلى تجنب مجرد "تقليد" عدو وأن يعتقد بوجوب اعتماد أنظمة أو أساليب هجينة.

يمكن للمرء أن يجمع بين الأساليب السياسية والاقتصادية والإعلامية والعسكرية الناجحة لخلق فهم للمقاربة التي يستخدمها العدو ومن ثم إلحاق الهزيمة بهم عن طريق تأخير غاية العدو أو حرمانه أو تدميره أو تعطيله.

هناك طرق مختلفة للمقاربة الهجينة، وفي برنامج الطبيعة المتغيرة للحرب في أكسفورد، نفخر بكوننا متعددي التخصصات: سيختار المؤرخون مقاربة تاريخية كما تناول هذا المقال، لكن الأكاديميين من مختلف التخصصات يقدمون بدائل, وقد يركّز باحث من قسم القانون على حل قانوني. وبالنسبة للباحث في الرياضيات يوضّح نهجا قائماً على نظرية التعقيد[٣]. فيما يجادل باحث في علم الأحياء التطوري بأن الجهات الفاعلة المعادية التي تتكيف بشكل أسرع هي أكثر قدرة على البقاء على قيد الحياة وهذه هي التي نحتاج إلى تركيز الجهد عليها. يذكرنا الاختلاف في كل مقاربة

[٣] نظرية التعقيد والتنظيمات: وتسمى أيضا استراتيجية التعقيد أو المنظمات التكيفية المعقدة، وهي استخدام دراسة النظم المعقدة في مجال الإدارة والاستراتيجية والدراسات التنظيمية، ونظرية التعقيد نظرية متعددة التعقيد نظرية متعددة التخصصات نشأت عن نظرية النظم في الستينات.

بضرورة النقد لما نعتقد أنه "أفكار راسخة" في الحرب. وتسبب أساليب الحرب الهجينة قدرًا كبيرًا من القلق لأننا لا نفهم تمامًا ما نتعامل معه، لكن التفكير النقدي يمكن أن يساعد في معالجة هذه المشكلة.

عن طريق بعض الاستدلالات التاريخية، نجد العديد من الخيارات الاستراتيجية المتاحة، ويمكن للمرء مواجهة بعض الأساليب الهجينة عن طريق الردع وطمأنة الشركاء وغرس الثقة في أولئك الذين نرغب في التأثير عليهم. بالطبع، يحتاج المرء إلى إنشاء "خطوط حمراء"، وأن يكون واضحًا في الدبلوماسية من أجل فضح دعاية العدو وتناقضاته ونفاقه. في المقابل، لا ينبغي للمرء أن يستهجن تشويه سمعة أنشطة العدو في المؤسسات الدولية مثل الأمم المتحدة.

يمكن للمرء استخدام التدابير المادية للتعطيل والردع، ويمكن للمرء أن يبحث عن استراتيجيات بديلة عن طريق تغيير محور مقاربة العدو وكسر خط عملياته. على سبيل المثال: إذا اعتقدت داعش أنها بحاجة للتركيز على زعزعة استقرار العراق، سيكون من المثير للاهتمام للغاية التفكير في كيفية إعادة الاستقرار إلى سوريا التي تمثِّل الخطَّ الخلفي لهم. ويمكن للمرء استخدام قوة العدو لتحديد ثقل جهدهم، ومن ثم نقطة ارتكاز جهوده أو محور جهوده، ثم إمالة أو قلب التوازن، لا بالضرورة بالعدوان، ولكن بهزيمة أساليبهم أو تعطيلها.

في الختام، **يقدم التاريخ بعض التأكيد بأنه في الوقت الذي تتغير فيه الحرب بالفعل في صفاتها – كما هو الحال دائمًا – إلا أنه من المؤكد أن طبيعتها تظل كما هي.** ستكون هناك دائمًا لحظات يتعيّن فيها على المشاة والقوات المدرَّعة الاقتراب وتدمير العدو والتمسك بالأرض، وستكون هنالك على الدوام حاجة إلى قيام القوات الجوية بالإسناد الجوي العميق (الحظر الجوي) أو سحب القوات الصديقة إلى منطقة الحرب، وستضطر القوات البحرية للمشاركة في بعض العمليات البحرية القصيرة والعنيفة. لكن يمكن للمرء استخدام الطبيعة الثابتة للحرب لصالحه في فهم التهديدات الحالية ومواجهتها. دعونا نبني على ما هو ثابت ومعروف عن الحرب، وألا ننخدع بما يبدو أنه جديد وغامض، فطبيعة الحرب مادية ونفسية وعقلية، ويمكن التفكير في كل عنصر من العناصر الثلاثة مجتمعة.

يمكن تمييز "وسائل" و "غايات" الحرب الهجينة، التي لم تتغير كثيرًا عبر التاريخ. صحيح أن "الطرق" هي العنصر الحاسم هنا، لكنها تتألف أيضًا من المجالات الثلاثة: المادية والعقلية والنفسية، فإذا قمنا بتقسيم المشكلة إلى الأجزاء المكوِّنة لها، فسوف نفهم بشكل أفضل "التعقيد" الظاهر الذي نواجهه.

ومع ذلك وقبل كل شيء، يجب أن نلاحظ أن استراتيجيات مكافحة الحرب الهجينة غالباً ما تكون ناجحة عندما تتناول "الغايات" بدلاً من معالجة "الطرق" و"الوسائل"، لذلك فإن المقاربة الاستراتيجية تقدِّم حلاً لمشكلة الحرب الهجينة.

الفأر والدبابة والسوق التنافسية: رؤية جديدة للحرب الهجينة

بقلم غراهام فايركلوج *

"الحرب الهجينة مزيج من فتك الدولة مع حماسة متعصبة وطويلة الأمد من الحرب غير النظامية"

هوفمان الصراع في القرن الحادي والعشرين

منذ أن أنشأ هوفمان لأول مرة مصطلح الحرب الهجينة لوصف شكل الصراع الذي لاحظ نشوأه بعد الحرب الباردة، ظهرت العديد من الكتابات حول هذا الموضوع (هوفمان، ٢٠٠٧). ولا يظهر أي تراجع في الاهتمام بالمفهوم، لا سيما بالنظر إلى الأحداث الأخيرة في أوكرانيا وسوريا؛ حيث يُستخدم المصطلح بشكل متكرر لوصف تلك الصراعات التي تحدث (كوردسمان، ٢٠١٥؛ هوريبهو، ٢٠١٥؛ ثيلي آند ثيلي، ٢٠١٥). كما هو الحال مع الكثير من المؤلفات المكتوبة حول القضايا العسكرية، فهذه المنشورات توفِّر درجة عالية من الوصف حول ما يحدث، إلا أنها كثيراً ما

تفشل في تقديم نظرة ثاقبة للقوى المُسَبِبَة التي تشكل طبيعة الصراع الذي نناقشه، ومن نتائج هذا الفشل استمرار الفهم غير الكامل لمفهوم الحرب الهجينة، وتسعى هذه الورقة إلى معالجة جزء من هذا الفشل في الكتابات من خلال تقديم نموذج للحرب الهجينة التي تركِّز على تأثير إحدى هذه القوى، وهي التقنية، سيقدِّم هذا الأمر فهماً كلِّياً للحرب الهجينة، مكمّلاً للنظرة التي توفِّرها الكتابات الوصفية الحالية، ومن المفاهيم الأساسية للمقاربة المطبقة مفاهيم الظهور والتقارب والتحول، حيث ستوضح الورقة –من خلال بناء النموذج– أن هذه المفاهيم هي الدوافع الرئيسية لفهم تأثير التقنية على إدارة الحرب الهجينة.

عند إنشاء النموذج، ستُعرَض ورقة الحرب الهجينة من خلال كونها سوقاً تنافسية. حيث لا تسعى فيها الجهات الفاعلة المشاركة إلى الهيمنة على السوق، بل تسعى فيه إلى تحقيق الهيمنة السياسية في السعي لتحقيق غاياتها الاستراتيجية، وفي إطار هذا البناء، تسعى الجهات الفاعلة بشكل متزايد إلى تحقيق أهدافها من خلال تطبيق مفهوم ثان مأخوذ من تخصص الاقتصاد: مزاوجة التقنيات، حيث ستؤكد الورقة أن هذا المفهوم يدعم شكل الحرب الهجينة التي يتم ملاحظتها حالياً ويعكس التأثير الناشئ في الصراع فيما وُصِفَ بأنه ثورة صناعية رابعة (شواب، ٢٠١٥). كما سيتم مناقشة تطبيق النموذج في توفير رؤى جديدة لفهم الحرب الهجينة. نظرًا للتركيز التشغيلي لهذه الورقة، لن يتم إجراء سوى مناقشة محدودة بشأن صفات الحرب الهجينة. وتقتصر هذه المناقشة على الضروري منه لإنشاء قدرٍ كافٍ من السياق الذي يمكن تطوير النموذج فيه. وتناقش مجالات البحث المستقبلية التي يمكن من خلالها تفعيل النّموذج لتوفير أداة تقييم للمحللين، ولا تحاول هذه الورقة تقديم نظرية لمذهبِ عسكري للحرب الهجينة، بل تقدِّم منظوراً جديداً يمكن من خلاله للمنظِّرين والعسكريين وصنّاع القرار السياسي اتخاذ قرارهم.

الحرب الهجينة

في البداية، عرّف هوفمان الحرب الهجينة بأنها مزج "مجموعة من أنماط الحرب المختلفة بما في ذلك القدرات التقليدية والتكتيكات والتشكيلات غير التقليدية والأعمال الإرهابية بما في ذلك العنف

العشوائي والابتزاز وفوضى الجريمة" (هوفمان، ٢٠٠٧). ووسّع هذا التعريف لاحقاً ليعكس الحرب الهجينة على أنها "حملات معقدة تجمع بين المستويات الدنيا للعمليات التقليدية والخاصة؛ والأعمال السيبرانية والفضائية الهجومية؛ والعمليات النفسية التي تستخدم وسائل التواصل الاجتماعي ووسائل الإعلام التقليدية للتأثير على التصوُّر الشعبي والرأي الدولي" (المعهد الدولي للدراسات الاستراتيجية ٢٠١٥). وفي عام ٢٠١٣ اعتبر ماكولوغ وآخرون – باعتماده لمنظور استراتيجي – بأن الحرب الهجينة "مزيج من المنظَّمات والمعدَّات والتقنيات التقليدية وغير التقليدية في بيئة فريدة من نوعها مصممة لتحقيق تأثيرات استراتيجية تآزرية" (McCulloh & Johnson، ٢٠١٣). وبعدها بعامين، قام حلف الناتو – في محاولة لوضع سياق للأحداث التي تحدث في أوكرانيا – بتعريف الحرب الهجينة على أنها "استخدام تكتيكات غير متماثلة (متناظرة) للبحث عن نقاط الضعف واستغلالها عبر وسائل غير عسكرية (مثل التخويف والتلاعب السياسي والإعلامي والاقتصادي) ويدعمه التهديد بالوسائل العسكرية التقليدية وغير التقليدية. لاحظ (كالها Calha) مؤخرًا أن التكتيكات يمكن: "تغيير حجمها وتفصيلها مع أي وضع محدد" (Calha 2015).

هذا المنظور للحرب الهجينة يؤسس بيئة معقَّدة وسريعة التغيُّر وغير خطّيّة في صفتها، إنها بيئة يوجد فيها عدد كبير من الجهات الفاعلة، كل واحد يسعى لحالات نهائية مرجوة خاصة به، قد يكون البعض جهات فاعلة حكومية، أو جهات فاعلة غير حكومية تعمل كوكلاء (عملاء) لدول، بينما قد يمثِّل آخرون عناصر إجرامية أو شرائح من المجتمع تعتبر نفسها محرومة من النظام السياسي القائم. تتم زيادة قدرات الجهات الفاعلة من غير الدول بشكل متزايد من خلال ظهور تقنيات جديدة توفِّر وسائل لإحداث التأثيرات التي كانت في السابق خاصة بالدول، نتيجة لزوال عوائق الحصول على هذه القدرات التي تتخطى طيف التقليدية إلى غير التقليدية، وتتيح هذه التقنية الجديدة للجهات الفاعلة المشاركة في النزاع أن تعمل بطريقة تكيفية ومرنة استجابة للأحداث التي تحدث مباشرة داخل البيئة العملياتية والتي تؤثر فيها. ويتمثل أساس "طيف التمكين" في القدرة على استغلال البيانات الشخصية والمعلومات وتوظيفها من خلال استغلال المجال الافتراضي للفضاء الإلكتروني.

إن الموضوع الرئيسي الذي يمر عبر هذا الشكل الجديد من الحروب – كما يلاحظ هوفمان نفسه – هو عدم وضوح الحدود التي كانت موجودة تقليديًا ضمن أشكال الصراع السابقة (هوفمان، ٢٠٠٧). ويمكن اعتبار أن هذا الخلط يحدث بين المتورطين في إدارة نزاع هجين: قوات نظامية وغير نظامية؛ والإرهابيين والمجرمين وغيرهم من الجهات الفاعلة غير المنحازة التي ترى فرصة لتحقيق أهدافها الخاصة. علاوة على ذلك، هناك خلط بين وسائل الحرب، حيث تنعكس في استخدام القدرات التقليدية وغير التقليدية ودمج التأثيرات الحركية وغير الحركية داخل فضاء معركة واحد. وأخيرًا، فإن التقنية تخلط بين المجالات المادية والنفسية، وبين المادية والافتراضية، إن طبيعة هذا التشويش على الحدود الفاصلة ومداه هو ما يميز طابع الحرب الهجينة على أنه مختلف عن مظاهر الصراع الحديثة المماثلة التي توصف بأنها الجيل الرابع والحرب المركبة (Hoffman، ٢٠٠٧؛ McCulloh & Johnson، ٢٠١٣).

السوق التنافسية

لتبسيط فهم الحرب الهجينة، يوفِّر النموذج الاقتصادي للسوق التنافسية تشبيها مفيدًا، السوق التنافسية هو السوق الذي يتنافس فيه عدد كبير من المنتجين (الجهات الفاعلة) مع بعضهم البعض لتحقيق هيمنة السوق بقصد زيادة أرباحهم إلى أقصى حد. في مثل هذا السوق لا يمكن لمنتج واحد أو مجموعة من المنتجين إملاء طريقة عمل السوق (الاقتصاد على الإنترنت ٢٠١٦). يمكن رؤية وضع مماثل في الحرب الهجينة حيث تشارك العديد من الأطراف الفاعلة في الإنجاز، من خلال آلية الصراع لتحقيق هيمنة سياسية في إطار تحقيق أهدافها السياسية المنشودة، ويحدث هذا في بيئة لا يستطيع فيها أحد الأطراف ضمان السيطرة على وجه اليقين على نحو متزايد. يسمح تطبيق هذا التشبيه باستخدام مفهوم اقتصادي آخر، وهو مفهوم المزاوجة التقنية التي سيتم تطبيقها مباشرة على الحرب الهجينة كوسيلة لوصف قدراتها الوظيفية.

يظهر الجدول ١ مقارنة بين البيئتين.

السوق التنافسية: لتحقيق هيمنة السوق من خلال المنافسة	الحرب الهجينة: لتحقيق الهيمنة السياسية من خلال الصراع
يحتوي السوق على منافسين متعددين	الجهات الفاعلة متعددة تتنافس في الحرب الهجينة
يتم استخدام الموارد في الأماكن التي تشتد الحاجة إليها وحيث تكون أكثر فاعلية من أجل تحقيق الهدف	يتم تعبئة جميع القدرات المتاحة للجهات الفاعلة من أجل تحقيق الهدف المنشود
تستجيب الشركات بطريقة تكيفية ومرنة بناءً على عمل منافسيها	تستجيب الجهات الفاعلة بطريقة تكيفية ومرنة بناءً على تصرفات خصومهم
الهيمنة التنافسية مدفوعة بتطوير التقنيات	يتم اكتساب ميزة بشكل متزايد من خلال تطوير واستخدام التقنيات
استغلال مجال المعلومات أمر بالغ الأهمية	استغلال مجال المعلومات أمر بالغ الأهمية
المنافسة تنتقل من الصعيد المحلي إلى العالمي	يحدث الصراع عبر مجالات متعددة

الجدول (١)

التقنيّات

تُعرِّف هذه الورقة التقنية بأنها "التطبيق الهادف للمعلومات في تصميم السلع والخدمات وإنتاجها واستخدامها وفي تنظيم الأنشطة البشرية" (Business Dictionary، ٢٠١٥). في هذا التعريف، لا يُنظَر إلى التقنية على أنها مادة تمت صناعتها لتحقيق غرضٍ محددٍ مثل سيارةٍ أو هاتفٍ ذكي.

بدلاً من ذلك، فإنه يفترض اتّباع مقاربةٍ شاملةٍ تشمل الأفكار الأولية وراء الحاجة إلى المادة، من خلال تصميمه وصناعته وكيفية استخدامه وتأثيره على النشاط البشري وسلوكه. ويعكس هذا التعريف – لدى تطبيقه في سياق الحرب الهجينة – ملاحظة كيلو : "إنها ليست التقنية هي التي تجلب النصر في المعركة، بل هي فهم ما يمكن أن تحققه وكيف يتم إدخالها في المذهب (العقيدة) العسكري التي توفر ميزة". (كيلو، ٢٠١٣). إن تبنّي هذا المنظور للتقنية أمرٌ مهمٌ لثلاثة أسباب: **أولاً** هذا المنظور لا يفصل التقنية عن العامل البشري وإنما يعتبر التقنية رد فعلٍ بشري لاحتياجاتهم ومطالبهم، **ثانياً** أن وجود التقنية يؤثر على سلوك الفاعل البشري ويغيّره فيما يتعلق بكيفية تلبية احتياجاتهم, **ثالثاً** تؤدي هذه التغييرات في السلوك إلى حدوث تحول في طبيعة المجتمع وصفاته. فمثلاً، غيرت عملية تطوير الإنترنت الطريقة التي يتعامل بها الأفراد أو يتسوّقون جذرياً (Heibroner،١٩٦٧؛ McNeill،٢٠١٥؛ Toffler،١٩٨١؛ Van Creveld،٢٠١٠). ويُلاحظ تزايد عملية التحوّل هذه في إدارة الحرب الهجينة حيث يؤدي تطوير أنظمة المعلومات المتقدِّمة وتفاعلها مع التصنيع (بإضافة الطباعة ثلاثية الأبعاد) إلى تغيير طابع الصراع بطرقٍ تتجاوز التأثير الحركي لأنظمة الأسلحة التي تُنتَج بطرق الإنتاج الجديدة هذه.

إن استخدام منظور تقني يتم من خلاله بناء النموذج الوظيفي للحرب الهجينة يعكس تبني موقفٍ فلسفيٍ حتمي (جبري) على الصعيد التقني، لغرض محاولة فهم المفهوم، وتعتبر التّقنية المستخدمة في الحرب الهجينة بمثابة عامل للتغيير الاجتماعي الذي يؤثر على سلوك الجهات الفاعلة المعنيّة ونواياهم، وهذا هو الاختيار المتعمد، وهذا التعليل قائم على ثلاثة عوامل: **أولها** أن هذه الحرب، وخاصة الحرب الهجينة، يمكن اعتبار أنها تمثِّل شكلاً من أشكال النشاط السياسي والاجتماعي الذي يشارك فيه الأفراد والمنظمات والدول مباشرة. فكما يرى كلاوزفيتز الحرب بأنها: "... تفاعل الحكومات والأفراد...[وهي] استمرار للممارسة السياسية مع إضافة وسائل أخرى (كلاوزفيتز، ١٩٧٦)". يركز **العامل الثاني** على تأكيد فلوريدي (Floridi) عند النظر في تأثير أجهزة الحاسوب وأنظمة المعلومات على الأفراد، فقد أصبح هؤلاء البشر الآن يعتمدون على التقنية الرقمية في القرن الحادي والعشرين في جميع جوانب نشاطهم (Floridi، ٢٠١٤). بالتأكيد، هذا هو الحال فيما يتعلق بالحرب حيث يتم استخدام الآلات بشكل متزايد بدلاً من البشر لتحقيق التأثير (Coker، ٢٠١٥).

والعامل الثالث، كنتيجة للعامل السابق، هو أن هذه الاعتمادية [على التقنية] تدفع إلى البحث المتواصل من قِبل الجهات الفاعلة عن أشكال جديدة من التقنية التي يمكن استخدامها لاكتساب التفوق.

ويستخدم فوميو كوداما – وهو محلل أعمال ياباني – الأفكار الواردة في إطار المزاوجة التقنية لشرح كيف يجب أن تعمل الشركات ضمن سوق ذي تنافسية عالية يقوده التغير التقني السريع، وذلك لغرض تحقيق هيمنة السوق (كوداما، ١٩٩٢). وينظر البعض إلى أن هيمنة السوق تحدث عندما تمتلك كل شركة قوة كبيرة للتصرف بطريقة مستقلة "عن منافسيها وعملائها والمستهلكين" (Doyle، ٢٠٠٢). كما يوضح الجدول ١، ويجب تحقيق الهيمنة في بيئة سوق معقدة تضم العديد من الجهات الفاعلة لكل منها القدرة على التصرف بسرعة ومرونة استجابة للأحداث في السعي لتحقيق أهدافها. في مثل هذه البيئة، يوضح كوداما أنه يجب على الشركات الابتكار والتطوُّر بشكل مستمر من أجل تخفيف كل من التهديدات المعروفة وغير المعروفة التي تتحدى مركزها في السوق. **الموردان الرئيسيان اللازمان لتمكين هذه الأنشطة هما التقنيات والمعلومات** (كوداما، ١٩٩٢).

يعتبر كوداما العملية الحاسمة التي يمكن أن يحدث ضمنها هذا الابتكار والتطور بأنها هي **المزاوجة التقنية. مفهوم يعرف بأنه "... غير خطي ودمجي وتعاوني. فهو يمزج التحسينات التقنية الإضافية من العديد من مجالات التقنية التي كانت منفصلة سابقًا لإنشاء منتجات تُحدث ثورة في الأسواق** "(Kodama، ١٩٩٢)، وهي عملية يتم فيها الجمع بين تقنيتين أو أكثر معًا لإنتاج حل أكبر من مجموع كل جزء من الأجزاء الأصلية، ويتطلب الإنجاز الناجح لهذا العمل عنصرا ثقافياً وهو اعتماد مقاربة تتقبل عملية التشويش (الخلط) أو الكسر للحدود الحالية من أجل تحقيق النجاح. في بيئة السوق، وتشمل هذه الحدود: الحدودَ الفاصلة بين الأشكال المختلفة للتقنية، وبين المنافسين التقليديين، وبين الأسواق المختلفة، ولا يمكن تلبية متطلبات العمل اللاخطي والدمج والتعاون إلا من خلال هذا الإجراء. يقتبس كوداما من تطوير شاشات العرض البلورية السائلة من خلال مزاوجة تقنية الإلكترونيات والبلور والبصريات في تحالف تقوده Sharp و Sony بعد

شرائهم لاستديو سينمائي كبير كجزء من استراتيجيتهم بعيدة المدى لبناء أعمال ترفيه شاملة حول تضافر الجهود بين أجهزة وبرامج الصوت والفيديو كأمثلة على هذه الثقافة في العمل (Kodama، ١٩٩٢). كما تشمل الأمثلة الحديثة للمزاوجة التقنية – التي شهدت كسر الحدود التقليدية – الطباعة الحيوية للأنسجة البشرية من خلال الجمع بين التقنية الطبية والطباعة ثلاثية الأبعاد وإنتاج الزجاج الذاتي التنظيف من خلال دمج تصنيع الزجاج وتقنية النانو (Organovo، ٢٠١٦ ؛ بيلكنغتون وزجاج ٢٠١٦). وكما يقترح كوداما، فإن نتيجة تطبيق المزاوجة التقنية هي تطوير تقنية هجينة (كوداما، ١٩٩٢).

الثورات الصناعية والصراع

يتضح تأثير الثورات الصناعية السابقة على النزاع من خلال النظر في تطور إنتاج الأسلحة وتسليمها، فقد قدمت الثورة الصناعية الأولى–باستخدام الماء والبخار لتمكين الإنتاج الميكانيكي– وسيلة للجمع بين المواد المختلفة في عملية الإنتاج. مما أدى إلى حدوث تطورات مثل صناعة بنادق المشاة، والتي أصبح بالإمكان إنتاجها بكميات أكبر وبموثوقية أكبر مما كان ممكنًا في السابق. وأصبح بالإمكان إدامة الحرب (بالإمدادات والصيانة) على نحو متزايد وازدادت الحرب فتكاً كما ظهر من حرب القرم (١٨٥٣–١٨٥٦). وشهدت الثورة الصناعية الثانية استخدام الطاقة الكهربائية في عملية التصنيع، مما أدى إلى القدرة على إنتاج كميات كبيرة من المصنوعات وتطوير وسائل تدمير أكثر قوة من أي وقت مضى، يمكن الآن تجهيز جيوش كاملة بسرعة على نطاق واسع بمجموعات تزداد تنوعاً مع الوقت من أنظمة التسليح، وباتت أنظمة التسليح قادرة على تحقيق تأثير أكبر على المناطق ومن مسافات أبعد. ولم يشهد العالم في وقتها تأثيرات لدور المدفعية مثل ما حدث خلال الحرب العالمية الأولى (١٩١٤–١٩١٨). وأدّت الثورة الصناعية الثالثة، وتطبيق استخدام الإلكترونيات وتقنية المعلومات، إلى أن تصبح عملية الإنتاج مؤتمتة (آلية)، والى زيادة السرعة التي يمكن بها إنتاج أدوات الحرب مع تغيير استخدامها وتشغيلها بشكل كبير, كما أصبحت الحرب نفسها مؤتمتة على نحو متزايد، مع نقل تأثيراتها من مسافات أكبر وبدقة

متزايدة، وتجلّت ولادة شكل من أشكال هذه الحرب في حرب الخليج عام ١٩٩١ ونما هذا الشكل وترعرع في غزو العراق عام ٢٠٠٣.

الثورة الصناعية الرابعة

تم تعريف الثورة الصناعية الرابعة من قبل أحد داعميها الرئيسيين - كلاوس شواب - على أنها "دمج التقنية التي تؤدي إلى تقارب المسافات الفاصلة بين المجالات المادية والافتراضية والأحيائية" (شواب، ٢٠١٥). إنها ثورة صناعية لم تعد فيها التقنية تواجه الحواجز التي كانت موجودة من قبل بين المجال المادي والمجال الافتراضي الذي تم إنشاؤه حديثًا والمجال الأحيائي في العالم. إن التقاء التقنيات الحديثة في هذه الثورة، بما في ذلك الذكاء الاصطناعي (AI)، والروبوتات (الرجال الآليين)، وتقنيات النانو وعلوم المواد في المجالات الثلاثة، ينتج "حلول أوداك الهجينة".

يفرِّق شواب هذه الثورة الصناعية الرابعة عن ما سبقها من خلال تحديد ثلاث سمات مميزة:

أولا، اتساع وعمق تأثيرها. تأثير ينتج عنه تغيرات لم تخطر على مخيلة أحد سابقًا تحدث في جميع مجالات النشاط البشري: الاقتصاد والأعمال والمجتمعات والأفراد. بالنسبة لشواب، لا تؤثر هذه التغييرات أكثر مما حدث في الثورات الصناعية السابقة فحسب - المتمثلة بماهيّة وماذا وكيفية القيام بالأشياء - ولكن بشكل أكبر بكثير في من نحن (شواب، ٢٠١٥). ويعود هذا التأثير إلى عالم أصبحت فيه التقنيات الحديثة "... تولّد تقنيات أحدث وأكثر قدرة." لقد أصبحت التقنية نفسها محركًا لمزيد من التطوير (شواب، ٢٠١٦).

الميزة الثانية هي السرعة التي تحدث بها التحولات الناجمة عن الثورة الرابعة. التحولات التي تجري بسرعة أُسيّة لا خطّيّة[٤] كما شهدنا في الماضي، حيث كان تأثير التقنية الناشئة في السابق قد يستغرق سنوات عديدة لتحقيق تأثير واسع، فيما تستغرق الآن أشهراً فقط، قارن بين ١٠١ عام بين اختراع محرك الاحتراق الداخلي في ١٨٠٧ من إنتاج دي ريفاز وإنتاج فورد لطراز T، وبين عامين أمضتهما آبل آي بود في الفترة ٢٠٠١ - ٢٠٠٣ لتغيير الطريقة التي يستمع بها الأفراد إلى

[٤] التابع الأسي لا يكون في التزايد ثابتا وإنما يكون متزايدا هو الآخر، بينما يكون التزايد ثابتا في العلاقات الخطية.

الألبومات الموسيقية الخاصة بهم ويتفاعلون معها، وإلى السرعة التي تستغرقها "تطبيقات" الكمبيوتر لإحداث التأثيرات كما شاهدنا تأثير فيسبوك على تفاعلنا الاجتماعي (Cava، ٢٠١٤، Kahney، ٢٠١٦، Wikipedia، ٢٠١٦a؛ Wikipedia، ٢٠١٦b).

يتمثل **العامل الثالث** لشواب في تحول "النظم الكاملة" التي تحدث عبر الدول والمنظمات والصناعات والمجتمعات وداخلها (شواب، ٢٠١٦). تتغير العمليات التجارية بالكامل من خلال ابتكار تقنيات مثل الطباعة ثلاثية الأبعاد، وظهور هياكل تنظيمية مسطحة وزوال الحدود التقليدية بين المستهلك والمورّد كما هو الحال مع أير بي أن بي وأوبر، وفي ميدان السياسة، يمكن ملاحظة تأثير هذا العامل في الطبيعة المتغيرة التي يتفاعل بها السكان مع حكوماتهم، ففي المملكة المتحدة، يمكن للأفراد القيام بمثل هذه المهام المتنوعة عند التوقيع على عريضة ضد تشريع غير مرغوب فيه لتسجيل سياراتهم (حكومة المملكة المتحدة، ٢٠١٦).

هذا السياق من الثورة الصناعية الرابعة مهم للنموذج الوظيفي للحرب الهجينة التي يتم اقتراحها، ويسعى هذا النموذج لإبراز مزيج من التقنيات الصاعدة الجديدة، وسرعة حدوث ذلك، والتمكين المتزايد لهذه التطورات التقنية في توفير لمجموعة واسعة من الجهات الفاعلة، بالنسبة إلى كاسبيرسون Kasperson، فإن الثورة الصناعية الرابعة هي "**خلق انتشار شعبي هائل للقدرة على إلحاق أضرار جسيمة**"، ومن الناحية التاريخية: يتطلب إلحاق ضرر كبير النطاق قدرات وموارد تملكها الدولة فقط، لكن هذا الوضع يتغير باستمرار: (Kasperson، ٢٠١٥)، قد تكون هذه العملية من "التوزيع العادل للقدرات"، إلى جانب عدم وضوح الحدود التقليدية، سمة مميزة بنفس القدر للحرب الهجينة الحديثة.

نموذج للحرب الهجينة: الصعود والتقارب والتحوُّل

يمكن تحديد ثلاثة مفاهيم أساسية على أنها موجودة داخل كل من البُنى التي نوقِشَت في الفقرات السابقة: منظور السوق التنافسية للحرب الهجينة والمزاوجة التقنية والثورة الصناعية الرابعة. وهؤلاء هم: **الصعود والتقارب والتحول**. وكنتيجة منطقية لهذا التراث المشترك، يتم استخدام هذه المفاهيم

الثلاثة لبناء نموذج الحرب الهجينة الذي اقترحته هذه الورقة. حيث سوف تَظْهرُ هذه المفاهيم داخل النموذج كعناصر مميزة لعملية واحدة تخلق زخماً داخل صراع هجين. من خلال التحقيق في هذه العملية، يسمح النموذج باكتساب الفهم والبصيرة في الصراع الهجين.

قبل إنشاء النموذج، يكون تعريف كل من هذه المفاهيم ضروريًا لتحديد سياق كيفية استخدامها. يتم تعريف الظهور على أنه التأثير الإيجابي والسلبي على حد سواء من قبل الجهات الفاعلة الموجودة في البيئة التشغيلية نتيجة لظهور التقنية الجديدة. يقود التأثير إلى رد فعل الجهة الفاعلة من خلال إدراكه للتقنية على أنها تمثِّل ميزة محتملة أو تهديدًا محتملاً يجب عليها مراعاته في السعي لتحقيق هدفها، بينما يعكس الظهور إدراك وجود عامل جديد يجب إدراجه في التحليل التشغيلي للجهة الفاعلة. والتقارب هو النشاط الذي يحدث عندما يستجيب الفاعل للتقنية الحديثة، عن طريق استيعابها داخل تصميمها التشغيلي الخاص بها، قبل نشر القدرة لاكتساب التفوق أو إنتاج تدابير مضادة لها. إن عملية التقارب تحث على التحرك داخل البيئة التشغيلية مرة أخرى نحو حالة من التوازن، أصبح التوازن في سياق التقنية الجديدة ميزة "طبيعية" لبيئة العمل. وبات التحول في تركيز الاهتمام هو العملية التي أعادت تأسيسها، وهي حالة من التوازن، داخل بيئة التشغيل. التكنولوجيا التي نشأت على الرغم من نشأت رغم ظهور خط أساس تقني جديد. ضمن هذا النموذج، يظل هذا التوازن ثابتًا حتى تظهر تقنية جديدة.

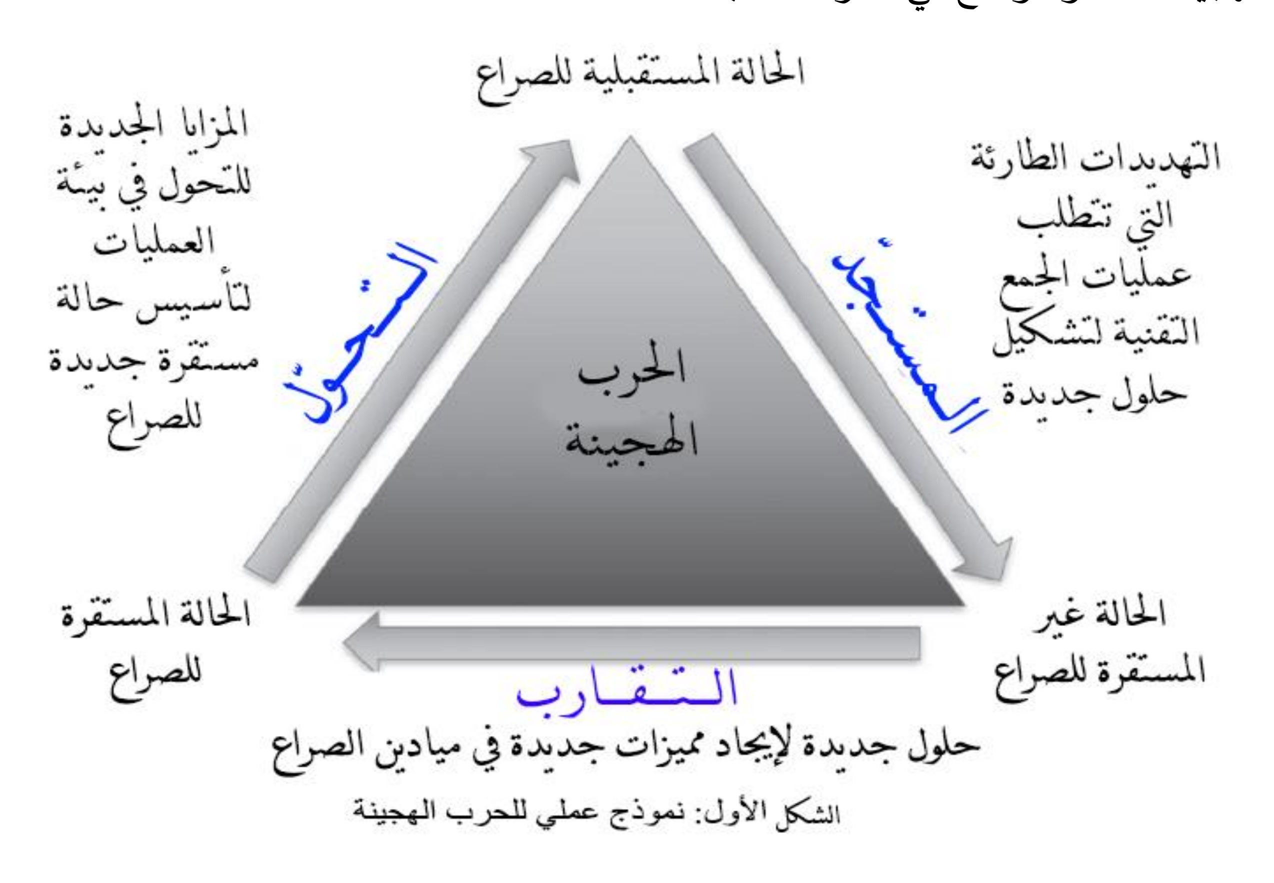
تعكس حالة البدء لتطبيق هذه المفاهيم على الهجانة وجود بيئة تشغيلية في حالة توازن، لا يملك فيها المرء أي عامل يعالج التقنيات التي تزوده بالمزايا التقنية. ومع ظهور جهات فاعلة جديدة في مجال التكنولوجيا تسعى إلى إيجاد طرق يمكن استخدامها لصالحها، أو لتحديد وسائل للتخفيف من أي تهديد قد يرون أنه يواجههم. إن نتيجة هذه الإجراءات هي التسبب في حدوث حالة من عدم التوازن، وربما تنعكس على الأرض من قبل جهة تقوم بهجوم من أجل الاستفادة من الميزة التقنية المتصورة التي اكتسبوها. في الوقت نفسه، تضخ تلك الجهات الفاعلة المحرومة من التقنية موارد متزايدة لإيجاد وسيلة لتقليل تأثير ما يعتبرونه تهديدا في الوقت الراهن. هذا الزخم ذو شقين: استغلال التفوق والبحث عن التخفيف يستمر حتى لا يتسبب التأثير الذي توفره التقنية الجديدة في

حدوث تأثير مزعزع للاستقرار على بيئة التشغيل. ولا ينبغي أن تكون الميزة التي توفرها التقنية الجديدة في شكل نظام تسليح قد ينشأ أيضًا عن التطورات في المجالات التقنية الأخرى. مثالان على ذلك: إنشاء مجموعة جديدة من التحالفات التي تم تمكينها من خلال إنشاء شبكة اتصالات جديدة أو اكتشاف وسيلة جديدة لإجراء عمليات المعلومات عبر الفضاء الإلكتروني.

تمثِّلُ النشأة نقطة البداية للنموذج، وتعمل كمصدر للزخم التقني الذي يتم حقنه في الحرب الهجينة من خلال تطوير التقنية. عند حدوث ذلك، تسعى الجهات الفاعلة التي تمتلك هذا التفوق التقني إلى زيادة فرصها إلى الحد الأقصى بينما يعمل الأشخاص الذين يعانون من الضعف التقني على تقليل التهديدات التي يتعرضون لها. وتزيد هذه الإجراءات من الزخم الأوّلي الناشئ عن تطور تقني معين وشدة في الصراع على **المستوى التكتيكي**، وقد تنعكس هذه الأعمال في احتلال أراضي جديدة أو تكبُّد هزيمة من قبل الخصم. وعلى **المستوى الاستراتيجي**، قد تدفع هذه الأعمال إلى إنشاء مجموعات جديدة وحل المجموعات الحالية. ومع ظهور الحلول، يتم توظيف هذه العناصر بسرعة لتقليل أي تفوق قد يكتسبه الخصم. تُحدِثُ زيادة إضافية في زخم الصراع في الوقت الذي تسعى فيه الجهات الفاعلة إلى تعظيم مكاسبها أو تقليل خسائرها.

عند هذه النقطة يبدأ التقارب. ففي البداية، تظهر مرحلة من "المشاركة" السريعة للتقنية الجديدة بين الجهات الفاعلة في ساحة المعركة، وهذه نتيجة لطبيعة بيئة القرن الواحد والعشرين المترابطة والغنية بالبيانات سهلة التداول في مجال التشغيل في القرن الحادي والعشرين. ونتيجة لهذه الأعمال، تتحرك طبيعة النزاع نحو حالة جديدة من الاستقرار. تحدث هذه الحركة الثانية عند النقطة التي يبدأ فيها التفوق المكتسب من قبل الفاعل في التلاشي حيث تقوم الجهات الفاعلة الأخرى المنخرطة في النزاع بتطوير ونشر وسائل مناسبة للتخفيف منها، وتستمر هذه المرحلة من النموذج حتى يتم تقليل أي تفوق يتحقق من خلال التقنية إلى مستوى لا يكون فيه ذا أهمية تشغيلية، وهي نقطة وجود حالة توازن تقني، مثل: الظهور التقارب يدخل الزخم في النموذج. عندما يتم نشر الحلول، يزداد الاشتباك بين الجهات الفاعلة مع تناقص التفوق التكتيكي/ عدم التوازن. تبذل محاولات لتعزيز المكاسب التي تحققت أو لاستعادة الأوضاع التي فقدت.

في هذه المرحلة، تمر المرحلة الأخيرة من النموذج بالتحول. حيث أن الآثار الناتجة عن التقارب تؤدي إلى حالة من التوازن في الصراع الذي لا تمتلك فيه أي جهة فاعلة تفوقاً تقنياً كبيراً. يُحدِثُ مزيداً من إعادة التوازن أو التصحيح الاستراتيجي. **في هذه المرحلة من النموذج، أصبحت التقنيات الجديدة، التي وفّرت مستوى من المزايا، مدمجة بالكامل في طابع الصراع الهجين المستمر، يتم فيه إنشاء أساليب (معايير) جديدة للحرب الهجينة.** وكما هو الحال مع الظهور والتقارب، يوفر التحول زخما للنموذج. يقوم بذلك عن طريق إعادة تشكيل البيئة "العالمية" التي تحدث فيها الحرب الهجينة حيث يكتسب جميع الأطراف الفاعلة التقنية الجديدة أو وسائل تخفيفها. في هذه المرحلة، يعيد النموذج تشغيل نفسه. في حين أن ظهورهما وتقاربهما يؤثِّر على الأحداث بشكل كبير على المستويين التكتيكي والتشغيلي، فتأثير التحول ذو طبيعة استراتيجية على هذا الانتقال؛ من المنظور التكتيكي والتشغيلي للنموذج إلى الملاءمة الاستراتيجية ضمن صفة الحرب الهجينة العابرة للحدود. **مما يعكس حقيقة النزاعات الهجينة الأخيرة في أن الحدود التقليدية بين هذه المستويات من العمليات تصبح غير واضحة باستمرار.** يوضح الشكل ١ النموذج المبني على التقنية للحرب الهجينة كما هو موضح في الفقرات السابقة.



الشكل الأول: نموذج عملي للحرب الهجينة

المناقشة

لا ينبغي اعتبار تشغيل النموذج عملية خطية ثابتة. ولا ينبغي النظر إليه كآلية تركِز على رؤية استراتيجية أو تكتيكية محددة للحرب الهجينة. وفقًا لمتطلبات صانع القرار، فإنه يهدف إلى توفير رؤية وفهم يربط عبر كلا المنظورين. في كل مستوى، يمكن تضمين إجراءات التفكير في تصرفات الجهات الفاعلة المنخرطة في الحرب الهجينة، والتكتيكات التي تتبناها واستخدامها للتقنية ضمن النموذج لتوفير تقييم استراتيجي أو تكتيكي لنوايا الخصم. ومن خلال تحديد هذه النوايا، توجد فرصة للنظر في الخيارات المستقبلية المناسبة واختيارها. على سبيل المثال، قد يوحي الاعتراف بأن أحد الخصوم يركّز على اعتماد التقنيات السيبرانية أكثر من أنظمة الأسلحة المادّيّة، أن لديهم نية للعمل إلى حد كبير في المجال السيبراني. والسعي لتحقيق هدفهم من خلال التأثير على البنية التحتية الوطنية الحساسة (Volz، ٢٠١٦). وانطلاقاً من هذا الاستنتاج، أصبح صانع القرار الآن في وضع يمكنه من خلاله القيام باختيار مستنير فيما يتعلق بالإجراءات المستقبلية وتخصيص الموارد والأصول الاستراتيجية والتكتيكية.

يساهم النموذج المقترح بشكل فريد في فهم مفهوم الحرب الهجينة في أربعة مجالات. **الأول**: وهو الأكثر أهمية، تقديم شرح لتأثير التطور التقني على إدارة الحرب الهجينة، وذلك بتحديد الكيفية التي توفر بها التقنية الزخم والتوجيه لأولئك الفاعلين المنخرطين في مثل هذا الصراع. إن استخدام هذا النموذج بالاقتران مع المقاربة الوصفية التقليدية المتّخَذَة في دراسة الحرب الهجينة يزيد من الفهم الكلي للمفهوم. ويتم تحقيق ذلك من خلال دراسة المسألة من خلال منظور تقني، وذلك بملاحظة كون التقنية الجديدة والناشئة تؤدي دورًا رئيسيًا في النزاعات الهجينة (المعهد الدولي للدراسات الاستراتيجية ٢٠١٥، McCulloh & Johnson، ٢٠١٣).

المساهمة **الثانية** التي يقدمها النموذج هي الفهم الذي يتم اكتسابه من خلال القدرة على تقسيم سلوك الحرب الهجينة إلى المراحل الثلاث المتميزة: الظهور والتقارب والتحول. يمكن اعتبار هذه القدرة على تبسيط مفهوم الحرب الهجينة, مهمة لأنها تزيل درجة من التعقيد من دراستها.

المساهمة **الثالثة** التي يوفِّرُها النموذج هي توفير وسائل لاكتساب البصيرة في معرفة القوة النسبية للجهات الفاعلة المحددة أو مكانتها مقارنة بالجهات الأخرى من خلال تطبيق منظور تقني على أعمالها. هل تستمر إحدى الجهات في العمل في حالة تقنية ناشئة أثناء الاشتباك مع خصم (أو خصوم) انتقل (أو انتقلوا) إلى مرحلة التقارب اللاحقة للنموذج.

المساهمة **الأخيرة** هي الدور الذي يمكن أن يلعبه النموذج كوسيلة لتقييم الحالة الكلية للحملة الهجينة. في هذه الحالة، لا يتم بناء التقييم الجاري من خلال المقاربة التقليدية القائمة على ملاحظة الأحداث التي تحدث على أرض الواقع. بدلاً من ذلك، يتم بناؤه من خلال تفسير مكانة الجهة الفاعلة، كما يتضح من تطبيقه للتقنية والآثار التي يقدمها من خلالها. بشكل فردي أو جماعي، لن تقدم أي من هذه المساهمات "الحل السحري" لفهم الحرب الهجينة التي يرغبها صناع القرار والمشاركون على جميع المستويات. المساهمة التي يقدِّمونها هي تقديم منظور إضافي يمكن من خلاله فهمه.

استنتاجات

تقدم هذه الورقة نموذجًا وظيفيًا للحرب الهجينة من خلال منظور تقني. وهو منظور مقترح لتحقيق الفهم والبصيرة بآليّات هذا النوع المتطور من الصراع. للقيام بذلك، فهو يستعير اثنين من البنى في المجال الاقتصادي وهما السوق التنافسية والمزاوجة التقنية. وبناءً على ذلك، تُستخدم مفاهيم "الظهور والتلاقي والتحول" لإنتاج نموذج ثلاثي المراحل للحرب الهجينة. يقدم النموذج مساهمتين مهمتين في دراسة هذا النوع من الصراع الذي لا يكفي انجازه من خلال تطبيق مقاربة وصفية بحتة. **أول هذه العناصر** هو الجيل، عند تطبيقه بالاقتران مع المقاربة الوصفية التقليدية، لصورة أكثر ثراءً وشمولية إلى حد كبير عن الحرب الهجينة. وهو منظور لا يعتمد فقط على الأحداث على الأرض. **والمساهمة الثانية** هي تقديم الحرب الهجينة في شكل يسمح بأن يُنظَر إليها كعملية بنظرة مختلفة عن مجرد نموذج معتاد للفوز والخسارة. يُقترح أن تُقَدِم هذه المساهمة رؤية للمفهوم الذي يسمح لصانع القرار بالنظر فيه من خلال سلسلة من الحالات التقنية المتطورة. وبالتالي السماح

لإصدار أحكام بشأن الطبيعة النسبية للعلاقات القائمة بين الجهات الفاعلة المنخرطة في حرب هجينة وكيف تتغير هذه في الاستجابة للأحداث. وبذلك جلب بعدًا تطوريًا مهمًا لتقييم الصراع (Coker، ٢٠١٥).

العمل مطلوب عبر عدد من التيارات لنقل النموذج من طبيعته المفاهيمية كما هو معروض في هذه الورقة إلى نموذج يمكن لصانعي القرار تطبيقه. يتعلق التحدي الرئيسي بتحديد الوسائل المناسبة لجمع وتحليل مجموعات البيانات الضرورية، والتي يمكن استخدامها لتحديد موقع أحد العناصر الفاعلة داخل النموذج. قد تتمثل إحدى الحلول في تبني المنهجيات والنماذج المستخدمة في الأدبيات الخاصة بالتبني التقني، ولا سيما نموذج القبول التقني (Chuttur، ٢٠١٣ ؛ Comin & Mestieri، ٢٠١٣ ؛ Godoe & Johansen، ٢٠١٦). قد يكون الحل الثاني هو النظر في العمل المنجز في مجال انتشار الأسلحة، وهو مجال يتعلق في المقام الأول بالأسلحة النووية، لكنه يركز بشكل متزايد على تسليح الفضاء الإلكتروني (Cohen & Rotbart، ٢٠١٣؛ Monterio & Debs، ٢٠١٤). يتعلق التيار الثاني حيث يكون العمل ضروريًا بالعلاقات القائمة بين كل من البنيات المستخدمة لإنشاء النموذج وخاصةً المحيطة بالنقاط التي تلتقي فيها. هل توجد نقطة "تقاطع" واضحة أم أنها انتقال تدريجي من حالة إلى أخرى. يتعلق مسار العمل النهائي بآليات كيفية دمج النموذج الوظيفي والتصوير الوصفي للحرب الهجينة معًا لإنتاج الصورة الكلية المقصودة. هل يمكن تصور عملية الدمج بطريقة توفر كل من التفاصيل المقدمة من خلال الوصف وإحساس الزخم والتغيير الذي أعتقد أنه يمكن الحصول عليه من النموذج الوظيفي؟

يعتقد العديد من الكتّاب الذين يكتبون مستقبل الحرب أن الحرب الهجينة على النحو المفهوم في هذه الورقة ستكون الشكل المحدد للنزاع في القرن الحادي والعشرين (McCulloh & Johnson، ٢٠١٣؛ Calha، ٢٠١٥؛ McAllister، ٢٠١٥؛ Sheldon، ٢٠١٤). فإذا كان هذا هو الحال، فإن توفير الأدوات التي توفِّر أكبر قدر من فهم مثل هذه الأحداث للمحللين وصناع القرار سوف تصبح ذات أهمية متزايدة. يمثل النموذج المقترح في هذه الورقة مقاربة لتحقيق هذا الهدف. وهي مقاربة تعكس طابع الحرب الهجينة والبيئة المعقدة التي تحرِّكها التقنية التي ستحدث فيها.

ما هو نوع الحرب ما بعد الحرب الهجينة؟

إعادة النظر في التاريخ الأوراسي العسكري الحديث

جولتينكين يلديز *

"هل تفكيك الموحّد، وتوحيد المفكك هو طبيعة الحياة؟"

يوهان فولفغانغ فون غوته (شوارزر، ٢٠٠٦، ص ٣٨)

إذا كنا نريد أن نتحدث عن الحرب الهجينة، ففي اعتقادي يجب أن يكون لدينا فهم للجدل المستمر بين وحدة أو ازدواجية شكلين أو أكثر من أشكال الحروب. يفترض مفهوم الحرب الهجينة وجود طريقتين على الأقل للقتال. يتم تعريف الطريقة العادية والسائدة للصراع في ذلك الوقت على أنها حرب "تقليدية" أو "نظامية"، تدور بين جيوش الدولة على جبهات مفتوحة منذ القرن السابع عشر. في ذلك الوقت، نرى أن الدول الأوروبية قد بدأت في تشكيل جيوش دائمة ومنضبطة مناسبة لإجراءات وعمليات القتال عالية الشدة في الأرضي المفتوحة. ومع ذلك، فمن المعروف أيضًا أن الجيوش الغربية الحديثة والأقدم منها بقليل تعلمت على التأقلم بشكل أو بآخر مع البيئات والظروف القتالية الأخرى داخل القارة وخارجها. لذلك لا يمكننا القول أن الجيوش النظامية في القرن الثامن عشر والقرن التاسع عشر قد شَنَّت حروباً نظاميةً فقط.

السؤال عند هذه النقطة هو تحديد من كان يمثل جيشاً نظامياً ومن يمثِّل جيشاً غير نظامي. هل يمكن أن نفرّق بين الجيوش وبين الجماعات المسلحة غير الحكومية كممثلين خالصين لأي من أشكال الحرب النظامية أو غير النظامية؟ في هذه المرحلة، أزعم أنه يجب علينا أن نكون متشككين في استخدام مصطلح "الحرب غير المتكافئة (المتناظرة)" لوصف الأعمال المسلحة الأخيرة للجهات الفاعلة المعاصرة غير الحكومية بما في ذلك الجماعات الإرهابية الحضرية والريفية والمتمردون. أعتقد أن ما يسمى بالموقف غير المتكافئ تجاه الحرب ليس ملكًا للجهة غير النظامية فقط من الحرب. في الواقع، ينبغي اعتبار التباين أساسًا وسببًا لأي نجاح سياسي وعسكري. كظاهرة

تاريخية، نلاحظ عمومًا الحرب غير المتماثلة في شكل مواجهة بين جيش نظامي ومجموعة مسلحة غير نظامية. ومع ذلك، يجب أن نلاحظ أيضًا أن التباين في الحرب قد حدث في معظم الحالات إذا كان أحد الجانبين المقاتِلَين أضعف بشكل ملحوظ من الآخر. **بطبيعة الحال، يميل الضعيف – ويجب عليه– أن يكون أكثر ابتكاراً في تطوير العقيدة والتنظيم والمعدات، وبالتالي في تهجين الحرب.** ومع ذلك، يعلِّمُنا التاريخ العسكري أنه حتى الجيوش النظامية لديها القدرة على التكيُّف مع طريقة العدو الأضعف / غير النظامي في الحرب من خلال تهجين القتال قدر الإمكان.

إذا كان هذا هو الحال، يجب أن نطرح السؤال مرة أخرى: إذن ما هو غير النظامي؟ لقد كان اختراع جيش جماهير المواطنين في فرنسا في نهاية القرن الثامن عشر، والذي وُلِد في إسبانيا وألمانيا وهولندا ممارسات جديدة للحرب، والتي نعرفها من التعريفات التاريخية بالألمانية والفرنسية والإنجليزية والإسبانية باسم فولكسكريغ أو بارتيزانينكريغ، Guerre des Partisan، Small Wars، Kleiner Krieg، Guerilla، Petite Guerre. تم استخدام كل هذه المفاهيم لوصف طرق القتال المختلفة التي أجرتها الدول الأوروبية التي غزاها الجيش الفرنسي الضخم (Hahlweg، ١٩٦٨، ص ٢٥-٣١). لكننا نعلم أيضًا أنه في جميع هذه الحالات، تمكّنت الدول التي تعرّضت للغزو في الوقت المناسب من تشكيل هياكلها الحكومية المركزية وتحويل ميليشياتها المحلية غير النظامية إلى جيوش نظامية وفقًا لأساليب الحرب النابليونية. ومن ناحية أخرى، تعلَّم الغُزاة – أي الجيش الثوري الفرنسي النظامي – أن يتصرفوا كقوة لمكافحة التمرد داخل الوطن وخارجه (Hahlweg، ١٩٦٨، p.32-65).

اذن فليس من المستغرب أن الحرب غير النظامية لم تُصوَّر في القرن التاسع عشر كوسيلة للقتال خاصة بثقافة أو دين أو وحدة اجتماعية معينة. في الواقع، منذ الحروب النابليونية، كانت هناك منافسة غير متكافئة معيّنة بين الإمبراطوريات وخصومها تعمل كعملية مستمرة للتعلم المتبادل. في هذا السياق التاريخي، تعلم النظاميّون من غير النظاميين مثلما تعلم غير النظاميين من النظاميين، أو تعلّم القوي من الضعيف وتعلّم الضعيف من القوي. كمثالٍ أول للحرب المركبة في العصر الحديث، يمكن للمرء أن يشير بسهولة إلى أمريكا الشمالية ولاحقًا الولايات المتحدة، حيث خاضت

الحروب الفرنسية والهندية في منتصف القرن الثامن عشر من قبل القوات النظامية وميليشيات المستعمرات والقوات غير النظامية المحلية (موراي، ٢٠١٢، الصفحات ٧٢-١٠٣). من ذلك التاريخ، نرى الفاعلين العسكريين الذين يغيّرون طريقة حربهم دون أي تردد رسمي أو تقليدي فيما يتعلق بظروف البيئة القتالية.

ما الذي يسمح لنا بعد ذلك وصف النزاع المسلح بأنه حرب هجينة أو حرب مركَّبَة؟ **تُعرَّف الحرب الهجينة عمومًا على أنها الاستخدام المتزامن للقوة والعقيدة (المذهب) العسكرية النظامية أو الرئيسية جنبًا إلى جنب مع قوة وعقيدة غير نظامية أو عصابات ضد العدو. الأدب الحديث يقبل الحرب الهجينة كظاهرةٍ تاريخية كانت موجودة حتى في العصور المبكّرِة من تاريخ البشرية.** في تلك المرحلة، أتفق مع فرانك ج. هوفمان (٢٠٠٩) الذي يجادل بأنه "حتى وقت قريب، فإن ما لدينا في التاريخ العسكري العالمي كانت مجرد أمثلة على الحرب المركبة "، ولكن ليس من "الحرب الهجينة". قد يستطيع البعض أن يصف الحرب المركبة بأنها "حرب هجينة أوليّة"، **ولكن الهجين شيء أكثر من الاستخدام المركب للتكتيكات والعقائد والأفراد غير النظاميين والنظاميين تحت مظلة منظمة عسكرية.** حتى وقت قريب، لم يكن لدى جيوش الدولة ولا الجماعات المسلحة من غير الدول القدرة على القيام بمثل هذا الاندماج، بحيث ينتج عنه هيكل تنظيمي هجين وعقيدة عسكرية هجينة وما يمكن أن نسميه الحرب الهجينة أو الجيش الهجين أو الجماعة المسلحة الهجينة.

لدينا ما يكفي من أمثلة عن الحرب المركّبة في التاريخ العسكري. قبل وبعد عام ١٧٨٩، فقد واجهت الإمبراطوريات في جميع أنحاء العالم مقاومة محلية خلال توسعها الأفقي والرأسي. بالنظر إلى عمليات مكافحة التمرد التي دارت في القرن التاسع عشر، يمكن للمرء أن يجادل بسهولة أن الكثير منها لم يتم شنها ضد الجماعات الإرهابية الأيديولوجية، ولكن ضد المتمردين المدنيين الذين عارضوا المطالب الحكومية مثل الضرائب الجديدة و / أو التجنيد.

في مجال الحرب النظامية، يعمل التعلُّم المتبادل – كما ذكر أعلاه – فيما يشبه التحدُّث بنفس اللغة لكن بلهجة عامية مختلفة. هذا بمثابة "تقليد النجاح" كما يقترح جون لين (١٩٩٦). وعلى مدار

القرنين التاسع عشر والعشرين، تحقق تطور الجيش النظامي الكبير الحديث من خلال عمليات التقليد والتعلم المتبادل هذه. ومع ذلك، في مجال الحرب المركّبة: تعمل وظائف التعلُّم المتبادل على مدار التاريخ بطريقة مختلفة، مثل الترجمة التفسيرية من لغة إلى لغة أخرى.

كان للحرب التقنية الشاملة التي تم حدثت باستخدام القصف الاستراتيجي في الحرب العالمية الثانية شكلٌ آخر متمثِّل بالحرب المقدَّسة (الدينية) الشاملة التي أعلنها تنظيم الدولة أو القاعدة باستخدام الأدوات الإرهابية في مختلف مدن العالم. لكن العقلية في كلتا الحالتين؛ بالقتال في كل مكان وفي كل زمان وضد الكل دون تمييز بين المدني والعسكري؛ يمكن اعتبارها مُرتَبِطَة بمفهوم الحرب الشاملة الحديثة. تتم ترجمة الاستراتيجيات والتكتيكات والتشكيلات والأسلحة وأي عنصر آخر من عناصر الحرب على مستويات مختلفة من لغة الخصم إلى اللغة الخاصة بهم.

بالعودة إلى تاريخ الحرب المركبة والحروب الهجينة على التراب الأوراسي، ينبغي للمرء أولاً أن يلاحظ أن المنطقة المعنيَّة تاريخياً هي أرض شاسعة من الإمبراطوريات بما في ذلك الإمبراطورية العثمانية – سلف الجمهورية التركية الحديثة – وهي في الآونة الأخيرة مسرح مكثف للحروب الهجينة أو المركَّبة. من وجهة نظر عسكرية، تقدم أوراسيا بيئة قتالية صعبة للقوات النظامية. ولا تتغير الجغرافيا، بل وتحدد نوع الحرب التي تتم على أرض مليئة بالجبال والصحاري والسهوب.

من وجهة نظر سياسية، ليست أوراسيا منطقة يمكنك من خلالها بسهولة إنشاء دول قوميّة وإدارات دولة مركزية. فقد كانت أوراسيا على الدوام تحت سيطرة دول إمبراطورية، مثل الإمبراطوريات الفارسية والرومانية والبيزنطية والعثمانية والروسية، حتى ظهور الدول القومية ما بعد الحرب العالمية الأولى. نظرًا لأن هذا الموقف السياسي ليس من قبيل الصدفة، فإن الاستخدام المتكرر نسبيًا للحرب المركبة والهجينة يعد ضرورة عسكرية كانت ولا تزال تمليها الظروف الجغرافية والديمغرافية والسياسية والأنثروبولوجية المحلية على مر القرون؛ نظرًا لأن المنطقة كانت مأهولة بشكل أساسي بالسكان الريفيين والبدو، حيث كانت الإمبراطوريات الأوراسية تمتلك دائمًا قوات برية مركبة تضمُّ جنوداً نظاميين جنباً الى جنب مع قوات رديفة قبلية في شكل مرتزقة أو متطوعين غير متفرغين، وحتى بعد اختراع التجنيد الإجباري والجيوش الحاشدة.

في هذا الصدد، لم يشذَّ الجيش العثماني عن هذه القاعدة. كان للقوات البرية العثمانية دائمًا صفة مركَّبة على مر القرون حتى نهاية الحرب العظمى (Yıldız، ٢٠١٣ ؛ Beşikçi، ٢٠١٣). خاصة في القرن التاسع عشر، وتحديداً في عصر المركزية السياسية والعسكرية، نفَّذت النخبة السياسية والعسكرية العثمانية استراتيجية دفاعية ضد التمرد على العكس من مبادرة العمليات السرية الهجومية الروسية المعاصرة في البلقان، من أجل إدارة جميع التمردات العرقية والطائفية والدينية والسياسية في جميع أنحاء الإمبراطورية. كانت مراكز ثقل عمليات مكافحة التمرد العثمانية هي اليوم: ألبانيا والبوسنة والهرسك ومقدونيا وشرق الأناضول وشمال العراق وجنوبه وجبل لبنان وغرب ليبيا والبادية السورية. ما عاشه العثمانيون في تلك الجغرافيا يشبه ما واجهته القوى الإمبريالية والعظمى الأخرى، حيث كانت تهدف ولا تزال تهدف إلى غزو بعض المناطق المذكورة أعلاه أو السيطرة عليها (Yıldız، ٢٠١٢).

كانت الحكومة العثمانية تستخدم دائمًا قوىً قبليَّة رديفة في عمليات جيشها لمكافحة التمرد. على سبيل المثال، كان المحاربون القبليُّون الألبان حاضرين في العمليات منتصف القرن التاسع عشر في سوريا أو في جبل لبنان (يلديز، ٢٠١٢ ؛ ريد، ٢٠٠٠، ص ١٣٣–١٣٧). في الحروب التقليدية (النظامية) ضد روسيا، تضمن الجيش العثماني عدداً لا بأس به من اللاجئين الشركس والقوات القبليّة الرديفة من شرق الأناضول الذين خدموا في الجيش العثماني في وحدات الاستطلاع والقوات الخاصّة (المناوِشين)(Beşikçi، ٢٠١٦).

إن توظيف وحدات متطوعة أو غير نظامية كان له في الواقع مزاياه الاقتصادية والتكتيكية للجيش العثماني على المدى القصير، ولكن ينبغي للمرء أن ينتبه إلى أعمال العنف التي ارتكبتها هذه الجماعات ضد السكان المدنيين الذين يقيمون في بيئة الحرب؛ حيث تسببت بمشاكلات اجتماعية وسياسية ودولية وقانونية بعد ذلك. في حال تم تجنيد أفراد غير نظاميين أو استخدام وكلاء في معركتك ضد المتمردين المحليين، لن تتفاجأ بمواجهة فوضى محلية أكبر على المدى الطويل. عُرِفَت العصابات العثمانية غير النظامية – التي كانت تعرف باسم الباشي بازوق [٥] في القرن

[٥] كان الباشي بازوق جنوداً غير منتظمين في الحيش العثماني، يجنَّدون أوقات الحرب. وقام الجيش العثماني بتجنيد الألبان والأكراد والشركس في المقام الأول، مع أن المجندين يكونون من كافة الأعراق المنضوية تحت الامبراطورية العثمانية.

التاسع عشر – بطاعتها لرؤسائها فقط لا لضباط الصف، مع استخدامهم العنف ضد خصومهم المحليين. لا يزال هناك وضع مماثل ينطبق على الجماعات المسلحة بالوكالة في العراق وسوريا وأفغانستان.

كما ذُكر أعلاه، فإن إمبراطوريات ودول أخرى في الخارج تدخَّلت في السياسة الأوراسية خلال القرنين الماضيين من شمال إفريقيا إلى أفغانستان ومن شبه جزيرة القرم إلى لبنان، كانت لها تجارب مماثلة في أوراسيا. خلال توسعها الإمبراطوري، جمعت الإمبراطورية البريطانية أيضًا قوات متخصصة من السكان المحليين، من مستعمراتها وبالأخص الهند، لتقليل التكاليف المالية والبشرية للإمبراطورية (ستانلي، ٢٠١٥). اليوم، تواصل القوات المسلحة الأمريكية تنفيذ عمليات حرب هجينة ضد تنظيم الدولة من خلال استخدام الميليشيات العرقية والطائفية كقوة رديفة محلية بالإضافة إلى قدرات الأسلحة المشتركة للقوات الجوية والبرية.

على المستوى الاستراتيجي، ربما كان أول مثال لهجوم هجين في أوراسيا هو المبادرة التي طوّرها الدبلوماسيون وعملاء المخابرات الألمانية إلى جانب هيئة الأركان العامة عشية الحرب العالمية الأولى. صمم الدبلوماسي الألماني ومحلل الاستخبارات ماكس فون أوبنهايم خطة استراتيجية لدفع السكان المسلمين في المستعمرات الروسية الآسيوية والبريطانية والفرنسية للثورة. عملت هذه الخطة في ظل "الجهاد الكبير" الذي أعلنته الخلافة العثمانية ضد قوى التحالف محقِّقَةً نجاحاً تكتيكياً الى حد معيَّن (Kreutzer، ٢٠١٢).

إن الحرب المختلطة التي يُزعم أن روسيا تطبِّقُها اليوم في شبه جزيرة القرم – كما يسمّيها المراقبون الغربيّون – تبدو كإصدار محدَّث من العمليات الروسية العلنيّة والسرّيّة في منطقة البلقان. فقد حاولت الحكومات الروسية القيصرية إثارة السكان السلافيين (الصقالبة) الأصليين للتمرّد على الإمبراطورية العثمانية. أعتقد أنه ليس من الخطأ اعتبار روسيا "قوة طامعة" في القرن التاسع عشر، ومرشّحاً غير أوروبي لكونه قوة عالمية عظمى تعاني من بنية تحتية اقتصادية أضعف نسبيًا من منافسيها. بعد نهاية الحرب الباردة، نلاحظ وضعًا مشابهًا في حالة النخبة السياسية في روسيا ما بعد الاتحاد السوفيتي، الذين لديهم الرغبة والطمع لاستعادة صورة بلادهم باعتبارها "قوة عظمى

سابقة". هذه الإرادة الحثيثة للوصول إلى القوة تحثُّ موسكو على تطبق على كل أدوات الحرب، وهو وضع نعتبره الطريقة الروسية للحرب الهجينة.

إذا كانت الحرب الهجينة مهمة، فإنَّ السؤال إذاً: من وما الذي يحقق تهجيناً للشؤون العسكرية؟ في هذا الصدد، اعتدنا أن ننظر أولاً إلى الأجزاء الأضعف من البيئة القتالية المعولَمَة، ولكن هناك أيضًا جانب آخر لهذه المسألة. بعد الحرب العالمية الثانية، تَسَبَبَ تزايد الديمقراطية في الدول الغربية في تزايد الشعور العام الرافض للخسائر البشرية والمادية في الحروب. تحت تأثير التصويت العام، بحث صناع القرار في البلدان المتقدمة عن طرق لتجنب الخسائر البشرية والمادية في النزاعات المسلحة. بالإضافة إلى ذلك، فقد حث ردع الأسلحة النووية للقوى العظمى التي لديها هذه القدرة على تجنب أي نزاع مسلح تقليدي (نظامي) مباشر وواسع النطاق ضد بعضها البعض. جعل اختراع الأسلحة النووية أولاً وانتشارها بعد ذلك ثانياً، الخيار السياسي ضرورة استراتيجية، وفتح الوضع المترتب على تجنُّب الحرب الباب أمام حروب الوكالة المحدودة والصغيرة (Virilio، ١٩٩٧، ص. ٥٧-٦٠).

ساهمت هذه التطورات في العالم الغربي في انتشار وقائع مثل الحروب بالوكالة وتهجين الحرب في أوراسيا وفي مناطق أخرى منذ منتصف القرن العشرين وإلى الآن. تم استبدال الأزمة الفكرية والأخلاقية الغربية في مطلع القرن العشرين، والتي تُعرف باسم "عدمية نهاية القرن التاسع عشر"، في مناخ ما بعد الحداثة العالمي الحديث بأيديولوجيات رجعية مثل السلفية والجهادية في الأراضي الأوراسية. من وجهة نظر فلسفية، فإن العدمية الأوروبية في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين والسلفية الأوراسية في أواخر القرن العشرين وأوائل القرن الحادي والعشرين يمكن أن تؤخذ في الاعتبار كمصادر فكرية ونفسية للأعمال الإرهابية المدمِّرة في أوروبا قبل قرن وفي الوقت الحالي في مناطق مختلفة من العالم.

غالبًا ما تُعتبر الخطابات الحربية المعاصرة ذات المرجعية الدينية والثقافية المكثفة وأتباعها المتعصبين مرتبطين بالإرث الثقافي التاريخي للمنطقة الأوراسية. إنها معرفة حقيقة أن الجهاد – كمفهوم ديني وممارسة اجتماعية سياسية – له مكانه في التاريخ الأوراسي. **ومع ذلك، ينبغي للمرء**

أن يلاحظ أن الجماعات المسلحة المعولَمَة ما بعد الحداثة التي تعلن الجهاد أو الحرب المقدّسة، لا تمثل هذا الإرث التاريخي. فإشاراتهم الخطابية لأعمالهم الحالية للوهلة الأولى بمثابة استمرار للتراث التاريخي الثقافي، لكن ممارساتهم السياسية والعسكرية متجددة تنتمي إلى هذا العصر. إنهم يهجّنون الحرب باعتبارهم الطرف الأضعف، لكنهم ليسوا أكثر من متمردين أبرياء صادقين يواجهون الأقوياء.

كما أن انتشار الأسلحة والمتفجرات ليس بالأمر الجديد. نحن نعلم أن السيطرة على انتشار الأسلحة النارية كانت مشكلة للدول الشرعية منذ القرن السادس عشر (تيلي، ٢٠٠٠، ص ٦٩). لكن الحقيقة هي أن المتفجرات البدائية المحلية الصنع في الآونة الأخيرة تضمن للمجموعات الإرهابية قدرات أكثر من ذي قبل. فيما يتعلق بالتجربة الماضية، يبدو أنه لا يمكن للدول القومية ولا القوى العظمى العالمية التحكم بسهولة في انتشار هذه الأسلحة. بخلاف القرنين السابقين، لا تهدف الجهات المسلحة غير الحكومية اليوم بشكل أساسي إلى الاستيلاء على الأراضي لبناء الدولة فحسب. **فبدلاً من ذلك، يرغبون في أن يكونوا مساهمين في السياسة العالمية من خلال التحكم في بعض المواقع الاستراتيجية مثل طرق خطوط الأنابيب.**

تختلف الصورة الحالية في الواقع عن القرن التاسع عشر، عندما كان العنف السياسي أداة للإمبراطوريات أو مرشحي الدولة القومية لبناء الدولة (تيلي، ١٩٨٥). بالإضافة إلى القدرات التقنية الجديدة مثل المتفجرات البدائية المحلية، حيث يوفِّر الإنترنت ووسائل التواصل الاجتماعي للجماعات الإرهابية فرصًا جديدة للتجنيد. على الرغم من أن العنف السياسي ليس بالأمر الجديد بالنسبة للمنطقة الأوراسية، فإن الأنشطة الإرهابية العالمية وعصابات المدن يقدمون لنا أشكالًا جديدة ومبتكرة من الحرب والهجوم. وفقًا لمفهوم الحرب الشاملة، أصبح من المعروف أن الدول الحديثة في أواخر القرن التاسع عشر والقرن العشرين تستخدم العنف ضد المدنيين والجنود دون أي تمييز. وبالمثل، كانت الجماعات المسلحة غير الحكومية موجودة في نفس الوقت لاستخدام أساليب إرهابية لتحقيق أهدافها السياسية. ومع ذلك، يعدُّ هذا الأمر ابتكاراً في التاريخ السياسي والعسكري للعالم، بأن يفكِّر الفاعلون المحليون غير الحكوميين ويعملون على المستوى العالمي، فهذا أثر

جانبي غير متوقع للثورة في شؤون الاتصالات. يمكن وصف الموقف الحالي بسهولة مستخدمين عبارات كلاوزفيتز على أنه "حالة الانتقال إلى الحد الأقصى" (Virilio، ١٩٩٧، 54-53 .pp). وهكذا، تجاوزت النزاعات المسلحة الحدود التقليدية للحرب وتم تهجينها من قبل جميع الأطراف لجعل القتال غير متوقع بالنسبة للآخر. بما أن الجماعات "الجهادية" في مرحلة ما بعد الحداثة تنكَّرت للموت البشري في إشارة إلى الغيبيات الدينية (حياة الشهداء)، في محاولة منها نزع الطابع السياسي عن الحرب (عدم تسيس الحرب) وتجاوز السياسة بأعمالها الإرهابية. ويفضِّل فيريليو[٦] (١٩٩٧) وصف الحالة الجديدة هذه في النزاعات المسلحة بأنها "حرب فوق السياسية". يمكن ملاحظة موقف موازٍ من خلال إطلاق البلدان المتقدمة لزمام التقنية من خلال التحسينات غير العادية في صناعتها العسكرية التي تخلق حالة من "الانطلاق الكامل"، مرة أخرى وفقًا لمصطلحات فيريليو (Virilio، ١٩٩٧، ص ٥٤). **في ممارسة ما بعد الحداثة هذه للحرب الهجينة، تفقد السياسة دورها كحكم في النزاعات المسلحة وتصبح الحرب عملاً دون أي هدف سياسي لكل من الدول والجهات الفاعلة غير الحكومية.**

في البيئة القتالية الجديدة للحرب الهجينة، لا يمكن ضمان النجاح من خلال التغييرات الجزئية والمؤقتة في معدّات القوات المسلحة وتنظيمها وعقيدتها. وفي نفس الوقت، ليس لدينا حلول سهلة لمواجهة الأنواع الجديدة من الهجمات التي تشنها الجماعات الإرهابية العالمية، مثل زيادة الموارد البشرية للقوات الخاصة أو القيام بمزيد من عمليات القوة الجوية (لعله يقصد الدرونز). بالإضافة إلى ذلك، يجب على جميع الدول توخي الحذر من توظيف وكلاء في هذا المجال لغرض تجنب الخسائر البشرية أو المادية أو المخاطر القانونية؛ **فالتاريخ العسكري الأوراسي الحديث يعلِّمنا أن توظيف الأجانب من القوات غير النظامية أو من أهل البلد من قبل الدول الإقليمية والقوى العالمية الكبرى في الجغرافيا الأوراسية القاسية كوكلاء على المستوى العملياتي، تبقى بمثابة تحركات تكتيكية ذات فوائد قصيرة المدى في الوقت الذي تنطوي على مخاطر سياسية وقانونية.**

[٦] **بول فيريلو** باحث ثقافي نظري, وفيلسوف جمالي، فرنسي الجنسية. معروف بكتاباته عن التقنية وعلاقاتها بالسرعة والقوة، وإشاراته المتنوعة الى الهندسة المعمارية والفنون والمدنية والجيش.

للتغلب على الصراعات الإقليمية وضمان السلام والازدهار المستدامين، نحتاج إلى تحليل أسباب تهجين الحرب المتعلقة بالحياة الاجتماعية والوجود الإنساني لعصر ما بعد الحداثة وأن نشكِّل في هذا السياق لغة سياسية جديدة. يجب استخدام القوة كأداة أخيرة لحل النزاع. في هذه الحالة، على صناع القرار السياسي والعسكري أن يكونوا على دراية بالحقيقة من وجهة نظر عسكرية، يجب أن يكون صانعو القرار على دراية بحقيقة أن هناك حاجة لعقليات تنظيمية وعقائدية جديدة في الجيش تتجاوز الأطر التقليدية مثل "خدمات مشتركة" و/ أو "أسلحة مشتركة".

على حد تعبير ميلان كونديرا[٧]: "الحياة" تعني استمرار اضطراب النظام. إن شغف البحث عن النظام هو شغف البحث عن الموت". ما يتعين علينا أن نتعلَّمه على الفور هو العيش مع عالم ما بعد الحداثة الفوضوي الذي لا يمكن التنبؤ به، والحرب الهجينة ليست أكثر من مجرد نتيجة ثانوية لحالة الإنسان ما بعد الحداثي.

[٧] ميلان كونتيرا: كاتبة تشيكية نُفِيَت الى فرنسا عام ١٩٧٥، وأصبحت مواطنة فرنسية سنة ١٩٨١، وخسرت جنسيتها التشيكية سنة ١٩٧٩ ولم تستعدها حتى عام ٢٠١٩.

الفصل الثاني

الجوانب القانونية والاجتماعية والثقافية والعسكرية للحرب الهجينة والرؤية الاستراتيجية

الجوانب القانونية للحرب الهجينة

محمد جنكيز أوزون *

مقدمة

يحدد مفهوم "الحرب الهجينة" نظرية تم وضعها مؤخرًا استنادًا إلى اقتراح مفاده أنه فيما يتعلق بالطبيعة المتغيرة للحرب في القرن الحادي والعشرين، يمكن ملاحظة على جميع مستويات التفكير العسكرية (الاستراتيجية والعملياتية والتكتيكية) إنشاء درجات غير مسبوقة من التعاون بين القوات المسلحة النظامية والجماعات المسلحة من غير الحكومية والمنظمات الإجرامية والعناصر التخريبية والقوات المدنية/السياسية والاستخدام المكثَّف للبنية التحتية غير العسكرية – مثل الفضاء الإلكتروني – ضمن استراتيجية عسكرية الشاملة (هوفمان، ٢٠٠٩، هينز، ٢٠١٢، ص ٢٣). لقد جذبت النظرية الكثير من الاهتمام بسبب اندلاع النزاع المسلح في أوكرانيا، وأصبحت موضوع نقاش كبير بعد مقال كتبه في عام ٢٠١٣ رئيس الأركان الروسي، الجنرال فاليري جيراسيموف (جيراسيموف، ٢٠١٣).

وفقًا لصياغة جراسيموف للوسائل والأساليب الجديدة للحرب غير الخطية، فإن "قواعد الحرب" في البيئة السياسية المعاصرة قد تغيرت إلى حد النمو الذي تلعبه الوسائل غير العسكرية لتحقيق الأهداف السياسية والاستراتيجية. وفي كثير من الحالات، تجاوزت قوة الأسلحة في فعاليتها. "وبالتالي، فإن الاستراتيجية العسكرية الحديثة تركز أكثر فأكثر "في اتجاه الاستخدام الواسع للتدابير

السياسية والاقتصادية والإعلامية والإنسانية وغيرها من التدابير غير العسكرية – المطبقة بالتنسيق مع إمكانات الاحتجاج لدى السكان". يتجلّى هذا التغيير من خلال "استخدام قوات العمليات الخاصة والمعارضة الداخلية لإنشاء جبهة تعمل بشكل دائم عبر كامل أراضي دولة العدو، بالإضافة إلى الإجراءات والأجهزة والوسائل الإعلامية التي يتم تحسينها باستمرار" مع نتائج "قابلة للمقارنة مع نتائج أي حرب حقيقية" (جيراسيموف، ٢٠١٣).

في الواقع، كانت التغييرات في الطبيعة الأساسية للحرب عملية مستمرة منذ الحرب العالمية الثانية. كما كتب العقيد ليانغ تشياو والعقيد شيانسوي وانغ من جيش التحرير الشعبي الصيني في كتاباتهما حول نظرية الحرب المفتوحة في عام ١٩٩٩، "[الحرب] التي غيرت العالم في نهاية المطاف غيّرت الحرب نفسها" (تشياو أند زيانكسوي، ٢٠٠٠، ص xx). بالفعل، في بيئة تكون فيها الحرب بين الدول حرباً نادرة، فقد تحولت الحرب "من القتال بين قوات متماثلة تخوض المعركة في الميدان إلى مواجهة استراتيجية بين مجموعة من مقاتلين ليسوا كلهم جيوشًا، ويستخدمون أنواعًا مختلفة من الأسلحة، وفي كثير من الأحيان بدائية ومحلية الصنع "(سميث، ٢٠٠٦، ص ٣). ومع ذلك، قد يكون من المبكر الحديث عن تغيير مطلق في المعايير العامة للحرب. بهذا المعنى، سيكون من الصعب اقتراح أن نظرية الحرب الهجينة تتوافق فعليًا مع استراتيجية عسكرية قابلة للتطبيق عمومًا.

ومع ذلك، فإن تلك الحالات التي تتناسب بشكل ملحوظ مع النمط تَعِدُ بتحديات عديدة في مجال العلاقات الدولية. مع أخذ هذه الحقيقة في الاعتبار، يهدف عرضنا الموجز لهذا المؤتمر التاريخي الفاصل حول نظرية الحرب الهجينة إلى لفت الانتباه إلى محورين من المناقشات الأساسية:

(١) **في المحور الأول**، سيحاول هذا العرض إنشاء أساس مفاهيمي لفهم العلاقة بين نظرية الحرب الهجينة والقانون الدولي. هذه خطوة أولى ضرورية من أجل الدخول في مزيد من التفصيل حول التدابير المعيارية المحتملة التي يمكن تبنّيها ضد تلك الوسائل والطرق التي تشكِّل في مجموعها تجسيدًا لاستراتيجية الحرب الهجينة. لا يمكن إنكار أن انتشار النزاع العسكري غير التقليدي منذ الحرب العالمية الثانية قد أثار بالفعل النقاش حول الآثار القانونية المترتبة على الطبيعة المتغيرة

للحرب بموجب القانون الدولي. ومع ذلك، ونظراً للطبيعة الحديثة للنظرية والغموض المحيط بها، فإن الحرب الهجينة لم تُناقَش بعد بالتفصيل في مجال دراسات القانون الدولي.

(٢) **في المحور الثاني** من هذا العرض، نأمل أن نوضِّح أنه في حين أن الإطار التقليدي للقانون الدولي قد يُنظر إليه في البداية على أنه غير مناسب في التعامل مع استراتيجية الحرب الهجينة، فإن هذا ليس هو الحال في الواقع. لدى القانون الدولي دائمًا خيارات للاستجابة للتغيرات السريعة في الحرب وقد يقدِّم بالمثل إجابات للتحديات الناشئة عن استراتيجية الحرب الهجينة. لهذا السبب، سنطوِّر الجدل القائل بأن الآليات الدولية القائمة يمكن أن تقدِّم إجابات في توسيع نطاق التنظيم الدولي من أجل مواجهة الثغرات التي تستفيد منها استراتيجية الحرب الهجينة أكثر من غيرها. لتوضيح هذه النقطة، سيشير الجزء الثاني من عرضنا إلى التعديلات السابقة للقانون الدولي على الأسئلة التي أثيرت فيما يتعلق بالطبيعة المتغيرة للحرب، وسوف يستفسر عن إمكانية اعتماد مقاربة مماثِلة في توضيح الآثار القانونية لتلك الأفعال التي تشكِّل جزءاً من استراتيجية الحرب الهجينة.

المحور الأول

أي سؤال حول العلاقة بين نظرية الحرب الهجينة والنظام القانوني الدولي يستلزم إجراء تحققٍ أولي في النظرية القانونية للحرب. وهذا مطلوب لأنه، كما عبّر عنه البروفيسور نيف: "إن القواعد الخاصة بشنّ الحرب لم تأت من الفراغ أبداً. قد جاءت من مفاهيم أكثر عمقاً حول طبيعة ودور الحرب نفسها في العلاقات الدولية "(نيف ٢٠٠٥، ص ٢).

لا يقدِّم القانون الدولي تعريفًا مُلزِمَاً عالمياً لمفهوم الحرب (Dinstein 2011، p. 4). وفي منظور كلاوزفيتز، تشترك جميع الحروب في نفس المضمون المتمثل بأن الحرب: "استمرارٌ للسّياسة بوسائل مختلفة" (كلاوزفيتز ٢٠٠٧، ص ٢٨). **تتوافق جميع الحروب في الشكل الظاهري لانهيار المعادلة السياسية التي تحكم العلاقات السلمية بين الطرفين** (Butkevych، ٢٠٠٣، p. 204، في إشارة إلى الأستاذ سوروكين) ووصول سياسة القوة الى أوجها (Cassese، ٢٠٠٣، p. 325). بمعنى آخر، **تشكّل الحروب أكثر أشكال العنف الجماعي المنظم تعقيدًا بهدف تحقيق**

تغيير في التوازن الذي يحكم العلاقات بين الطرفين. ومع ذلك، من المستحيل تحديد الحرب عالمياً بموجب القانون لأن أساليب ووسائل تنفيذ الحرب والنظرية القانونية لفهم الحرب في العلاقات الدولية كانت عرضة للتغيير المستمر. يرتبط التغيير في الحرب بالديموغرافيا والجغرافيا والتاريخ والعلوم والموارد والتقنية. التغيير في النظرية القانونية للحرب من ناحية أخرى ذو طبيعة سياسية في جوهره ويرتبط بالتطورات في العلاقات الدولية (انظر نيف، ٢٠٠٥).

في أي وحدة اجتماعية معيّنة، يعتمد تنظيم العنف على الوظيفة المنسوبة للعنف فيها. وبعبارة أخرى، فإن تحديد أنواع العنف بموجب القانون وتحديد استخداماته المشروعة وتوفير حدود قانونية للنسب المقبولة للعنف في موقف معين يستلزم تحديد وظيفة العنف داخل هيئة سياسية. بالطبع، يعتمد هذا التصميم على تفسير العنف من جانب السلطات القائمة التي تتمتع بسلطة شرعية لتنظيم السلوك الاجتماعي. كما يمكن ملاحظة هذا في الحالات المتعلِّقَة باستخدام القوة في العلاقات الدولية: لقد تطوَّرت النظرية القانونية الدولية بشأن الحرب دائماً في ضوء وظيفة الحرب في العلاقات الدولية مع الإشارة بشكل خاص إلى آراء الكيانات السياسية التي ثبت في لحظة معيَّنَة أنها تمتلك سلطة صنع القانون. ولهذا السبب كان على المحامين الدوليين الذين يستفسرون عن القواعد واللوائح الحالية المتعلقة بالحرب في وقت محدد من التاريخ أن يفعلوا ذلك في ضوء أهداف الحرب وأغراضها في إطار نموذج محدد للعلاقات الدولية يحكم العلاقات بين الدول في ذلك الوقت (انظر نيف، ٢٠٠٥).

على سبيل المثال، **قبل نظام الدول الإقليمية في أوروبا (نظام ويستفاليا)، تم تحديد وظيفة الحرب وفقًا لدورها في دعم هيكل اجتماعي – سياسي أوروبي غير مركزي، مترابط من خلال الإقطاع والهوية الدينية.** خلال هذه الفترة، تم أخذ شرعية الحرب في الاعتبار بموجب نظرية الحرب العادلة (bellum Justus)، والتي تم المصادقة عليها بشكل أساسي من قبل السلطة الدينية التي عرَّفت الحرب إلى حد بعيد كأداة لإنفاذ القانون. **في ظل هذه النظرية – باستثناء حالات الدفاع عن النفس – كان هدف الحرب هو السماح بإنشاء نظام عام عالمي والمحافظة عليه كما هو محدد في الدين.** وبعبارة أخرى، كانت الحرب مؤسسة نظام عام تتولى الوظيفة المزدوجة المتمثِّلة في منع

السلوك غير المشروع والمعاقبة عليه. ضمن هذا الفهم، وحتى إنشاء نموذج فكر ويستفاليا، اعتُبِرَت الحرب شرعية إذا استُخدِمَت وفقاً للمعايير المعتمدة والمطوّرة في حدود نظرية القانون الطبيعي الديني (أي السبب العادل، والسلطة الشرعية، والنيّة الصحيحة) (انظر، راسل، ١٩٧٥ ؛ اوزون، ٢٠١٤).

السرد السائد عن تاريخ القانون الدولي يأتي من تعاليم جيس جينتم[٨] التي وضعها هجو غروتيوس[٩] ومع ذلك، فإن النظرية القانونية المعاصرة للحرب مرتبطة بتطورات القرن الثامن عشر. وهكذا، فإن فترة تشكيل الدولة القومية التي شهدت نظاماً اجتماعياً وسياسياً أوروبياً تتطور نحو نموذج العلاقات الدولية المتمحور حول الدولة الخالصة، مستثنية جميع أشكال الكيانات غير الحكومية (مثل الشعوب والأقليات والأفراد والشركات والإقطاعيين والسلطات الدينية وما إلى ذلك) من نظرية القانون الدولي (انظر، كاسيسي، ٢٠١٢، ص ٥٤). تقدمت هذه العملية بالاقتران مع الثورة الصناعية وكانت مصحوبة بتحول الوظائف الحكومية نحو المركزية، بما في ذلك الوظيفة العسكرية التي وضعت حدا في أوروبا لعصر الحروب الأهلية. **ونتيجة لذلك، مع إلغاء الإقطاع والقضاء على الحروب الخاصة في أوروبا، أصبحت النظرية القانونية الدولية بشأن الحرب مقتصرة على نموذج الدولة مقابل الدولة، أي "الحروب الدولية"** (شميت، ٢٠٠٦، الصفحات ١٤٠-١٤٤). بالتوازي مع تعريف فيبر الاجتماعي للدولة (Weber 1958، p.77)، **اعتبر نموذج الحرب الدولي الحرب كأداة سياسية في ظل الاحتكار الصارم للدول** (شميت، ٢٠٠٦، ص ١٥٢ وما يليها). وهكذا، **وَضَعَت النظرية القانونية الدولية بشأن الحرب قواعد ومبادئ تنطبق على الحرب طالما كانت تحدث بين الدول أو في ظروف معينة ضد كيانات تشبه الدول (دول الأمر الواقع).** جميع حالات النزاع المسلح الأخرى التي تنطوي على كيانات غير تابعة للدولة – بما في ذلك الحروب الأهلية – لم تُعتَبَر موازية لحرب بالمعنى القانوني (Neff 2005، pp. 250 ff.) وأُعلن أنها تظل مسألة محصورة ضمن الولاية القضائية المحلية للدولة ذات الصلة. مثل هذه الحالات لا تشكل مسألة للنظر فيها بموجب القانون الدولي إلا إذا تم تدويلها من خلال أفعال المجتمع الدولي،

[٨] القانون الدولي المنبثق عن القانون الروماني القديم.

[٩] هوجو جروتيوس: (١٥٨٣-١٦٤٥) باحث انساني هولندي وهو دبلوماسي وقانوني ومنظِّر وفقيه قانوني.

إما من خلال التدخل أو بالاعتراف بالقتال الممتد ليشمل الكيانات غير الحكومية المعنية (Wehberg، ١٩٣٨، p. 9؛ Green، ٢٠٠٠، الصفحة ٣١٧ ؛ صامويلز، ٢٠٠٧، ص ١٨).

لا يزال القانون الدولي الحديث الذي تم تأسيسه باعتماد ميثاق الأمم المتحدة مُرَكزًا على الدولة. ومن المقبول عمومًا أن القانون الدولي وَضَعَتهُ الدول للدول (Cassese، ٢٠٠٨، pp.111–112). على هذا النحو، فإن الفكر القانوني بشأن الحرب لم يتغير جذريًا. إن قوانين استخدام القوة المعلنة – على النحو المبيَّن في ميثاق الأمم المتحدة – تقتصر على الحروب بين الدول (Dinstein، ٢٠١٤، pp. 5–6). علاوة على ذلك – وكما أكد البروفيسور كاسيسي – بينما تتضمن قوانين النزاع المسلح قواعد ومبادئ قابلة للتطبيق في "النزاعات المسلحة غير الدولية"، يظل نطاق هذا الإطار المعياري ضيّقاً ويمكن وصف تطبيقه بأنه مزعج في أحسن الأحوال (كاسيسي)، ٢٠٠٨، ص ١١١).

تعرضت النظرية القانونية الكلاسيكية للحرب مؤخرًا للنقد بسبب انتشار النزاعات المسلحة الداخلية. وتم التعبير عن ضرورة تحديث الفكر القانوني بشأن الحرب في الأوساط الأكاديمية المختلفة. لا يمكن إنكار أن معظم النزاعات المسلحة المعاصرة تنشأ داخل الحدود الدولية لدولة واحدة و/أو تحدث بشكل أساسي بين القوات المسلَّحة التابعة للدولة والجماعات المسلحة غير الحكومية (التي يتم تصنيفها عموماً على أنها منظمات إرهابية على المستوى الوطني). تشير مجموعات بيانات النزاع المسلح إلى حقيقة أنه حتى في الحالات التي تتضمن دولاً أجنبية – في معظم الأمثلة – تميل المراحل الأولية من العنف المسلح إلى البدء كحالة نزاع مسلح داخلي (Themnér، ٢٠١٣؛ Sarkess، ٢٠١٠). وبالتالي، من المعترف به على نطاق واسع أن الحروب الدولية وحالات النزاع المسلح بين الدول في العلاقات الدولية المعاصرة تشكل الاستثناء وليس القاعدة (Creveld، ٢٠٠٠، p. 355؛ Newman & Derouen، ٢٠١٤، p. 1؛ Watkin، ٢٠١٢، ص ٦). ومع ذلك، في الوقت الذي تغيرت فيه وسائل الحرب وأساليبها ومسرحها، فإننا نعتقد أنه ما زال من المبكر الحديث عن نقلة نوعية نهائية في الواقع القانوني للحرب إلى الحد الذي يجب فيه إعادة تقييم وظيفة الحرب في العلاقات الدولية :

(١) لا تزال الدول تحتكر احتكارًا كبيرًا العنف داخل أراضيها وتلتزم بإحكام بأدوات الحرب الرئيسية (الجيش والبحرية والقوات الجوية). ومن ثم، حتى في الحالات التي تضمُّ عناصر غير قانونية أو جهات فاعلة غير حكومية، فإن أدوات الحرب التقليدية ليست بعيدة على الإطلاق. في العرض الذي قدَّمه إلى الفريق الأول من المؤتمر حول وجهات النظر الروسية حول الطبيعة المتغيرة للحرب، قدم الدكتور موناجان إشارة محددة إلى هذه النقطة الأخيرة خلال تحليله للعمل الروسي في أوكرانيا وسوريا. كشف الدكتور موناغان عن حالة التعبئة العامة في روسيا وذكَّرَنَا بالاستخدام الواسع للاستراتيجيات والتكتيكات والأدوات العسكرية التقليدية (مثل استخدام الهجمات الصاروخية من بحر قزوين).

(٢) تم تصميم نظام ميثاق الأمم المتحدة لحماية النظام المشترك بين الدول ومنع الحروب الدولية (صور ٢٠١٢، ص.١٧١). كانت هذه أولوية بسبب الدمار الناجم عن الحربين العالميتين واختراع الأسلحة النووية. وقد أكد هذا بالفعل الدكتور جولتيكين يلدز. لا يمكن إنكار أن التقنية النووية قد أوجدت توازنًا للنظام السياسي العالمي – وهو توازن يطلق عليه أحيانًا توازن الإرهاب النووي (Baudrillard، ١٩٩٤، p. 33). إن أي حرب دولية بين الدول الصناعية تحمل خطر الإخلال بهذا التوازن وإشعال نزاع نووي عالمي ذي أبعاد غير متوقعة. من هذا المنظور، تشكل القوانين الحالية الخاصة باستخدام القوة والتي تم وضعها في إطار الأمم المتحدة إسقاطاً حول ضرورة حماية ميزان القوى الحالي. على الجانب الأكثر إشراقًا – ولأول مرة في التاريخ – مكننا هذا الإطار من التحدث عن الحروب الدولية باعتبارها استثناء (Creveld، ٢٠٠٠، p.355). وفقًا لذلك، على الرغم من كل عيوب النموذج الحالي، فإن حقيقة أن الصراع العالمي قد تم تجنُّبُهُ منذ الحرب العالمية الثانية يستحق اهتماماً خاصاً. باختصار، في ظل النظام المشترك بين الدول وفي ضوء المخاطر التي تنطوي عليها الحرب النووية، سيكون من الصعب التفكير في تحول جذري في وظيفة الحرب داخل العلاقات الدولية.

ومن ناحية أخرى، لا يمكن إنكار حقيقة أن وقوع نزاع مسلح مستقل عن قدرتنا على منع الحروب بين الدول. **في حين أن الوضع العسكري والاجتماعي والسياسي الراهن الذي تحقق من خلال**

توازن الإرهاب النووي قد جعل الحرب التقليدية بين الدول أقل احتمالاً، فقد تم نقل الصراع المسلح إلى مجال ما يُعتَبَرُ داخل الدولة، أو بين الطوائف أو داخل مجتمع (Väyrynen، ١٩٩٨، ص ٧). هناك أدلة كثيرة تشير إلى أن هذا النقل لم يكن مطلقًا مستقلًا عن المعايير الأساسية التي تحكم العلاقات الدولية الحديثة. فمن المعروف على نطاق واسع أنه خلال الحرب الباردة وما بعدها، أن العديد من الجماعات المسلحة من غير الدول الناشطة في حالات النزاع المسلح إما تعمل كوكيل لقوى أجنبية أو إلى حد ما تعمل بالتوازي مع مصالح السياسة الخارجية للدول الأجنبية (مومفورد ٢٠١٣ ؛ هيوز ٢٠١٢). هذه الظاهرة قامت للأسف بمواءمة الاستراتيجية العسكرية التقليدية في التنافس بين الدول مع تلك التي تعتبر "غير تقليدية" أو "غير خطية" أو "غير قانونية".

استخدام العناصر غير التقليدية أو غير الخطية أو غير النظامية في استراتيجية الحرب ليس بالأمر الجديد (انظر. Muray & Mansoor، ٢٠١٢). لطالما كان على أطراف النزاع المسلح أن يتكيفوا مع ضرورات الحرب ويطبقوا عناصر تقليدية وغير تقليدية سوية، حسب الظروف الموجودة. ما يجعل الحالات الحديثة للنزاع المسلح صعبة على عكس الأمثلة السابقة ليس استخدام الحرب غير النظامية، بل التوسع المنهجي وإدراج المؤسسات والأدوات غير العسكرية في الاستراتيجية العسكرية العامة. يمكن اعتبار الحرب الهجينة، بمعنى حساب جميع الوسائل غير التقليدية وغير العسكرية المتاحة لطرف بموجب استراتيجية عسكرية شاملة عامة، بمثابة تعبير نظري لهذا التطور. في هذه المرحلة بالتحديد، تثبت النتائج التي توصل إليها جيراسيموف بأنها مفيدة:

في القرن الحادي والعشرين، رأينا ميلًا نحو طمس الخطوط الفاصلة بين دولتي الحرب والسلام. لم تعد تُعلن الحروب، وقد بدأت وفقًا لقالب غير مألوف [...] أن تتحول الدولة المزدهرة تمامًا، في غضون أشهر وحتى أيام، إلى ساحة نزاع مسلح عنيف، لتصبح ضحية للتدخل الأجنبي، وتغرق في مستنقع من الفوضى، والكوارث الإنسانية، والحرب الأهلية. [...] **الحرب السياسية هي استخدام جميع الوسائل في قيادة الدولة، دون الحرب، لتحقيق أهدافها الوطنية.** وهي تتراوح بين الأعمال العلنية مثل التحالفات السياسية والتدابير الاقتصادية والدعاية "البيضاء" إلى العمليات السرية مثل

دعم العناصر الأجنبية "الصديقة" والحرب النفسية "السوداء" وحتى تشجيع المقاومة السرية في الدول المعادية [...] "(جيراسيموف، ٢٠١٣)

تتطابق العبارة الأولى من الاقتباس مع مقترح يستحق دراسة خاصة في هذه المرحلة، لأن "عدم وضوح الخطوط بين حالات الحرب والسلام" يؤكد على وجود علاقة ضمنية بين نظرية الحرب الهجينة وتطوير النظام القانوني الدولي. يجب ألا ننسى أنه قبل القرن العشرين، أنشأت الدول الأوتقراطية (الاستبدادية) ذات السيادة في أوروبا نظامًا دوليًا قائمًا على حماية التعددية القطبية في العلاقات الدولية، والمعروفة باسم توازن القوى. تم تفسير القانون الدولي لهذه الحقبة على نظرية الموافقة الصريحة من الدول، واعتبر أنه أداة غير هرمية للتنسيق والتعاون بين الدول قياسًا على القانون الروماني الخاص. ومن ثم، وفي غياب أي ادعاء بالعالمية، لم يتضمن القانون الدولي في هذه الفترة إشارة واضحة إلى المصالح المشتركة للمجتمع الدولي ككل. من هذا المنظور، لم يشكل هذا القانون الدولي "القديم" قانونًا للنظام العام في العلاقات الدولية، ومن ثم أقر بحق جميع الدول في استخدام العنف في علاقاتها الثنائية والمتعددة الأطراف. هذا هو السبب في اعتبار الحرب بطبيعتها قانونية وشرعية في جميع الحالات تقريبًا، بغض النظر عما إذا كانت منخرطة من أجل بقاء الدولة أو بدأت كأداة مساعدة ذاتية (نيف، ٢٠٠٥ ص. ١٦١ وما يليها). وبالمثل، بسبب هذه الحقيقة كان قد تم تحديد القانون الدولي الكلاسيكي كقانون للحرب والسلام – وفقًا لما ذكره جروتيوس في أن هناك حالتين قانونيتين لا ثالث لهما (inter pacem et bellum nihil est medium) (Grotius، ٢٠٠٥، pp 134، ١٥٩٥).

باعتماد ميثاق الأمم المتحدة، نأى القانون الدولي الحديث عن هذه الرواية. في ضوء الدمار الناجم عن الحربين العالميتين، فإن القانون الدولي الحديث شرعي من خلال المثل الأعلى لحماية المصالح المشتركة للمجتمع الدولي والسلام والأمن الدوليين من خلال سيادة القانون. ومن ثم، لم يعد من الممكن تعريف القانون الدولي بدقة باعتباره قانوناً للتنسيق والتعاون بين الدول، بل يشمل أيضاً ضمانات للتعايش السلمي للدول (حظر استخدام القوة، ومبدأ عدم التدخل، ومبدأ عدم الضرر). علاوة على ذلك، يقترح القانون الدولي الحديث نماذج للحوكمة العالمية. في هذا السياق،

وفقًا للنظرية القانونية الحديثة للقانون الدولي، لا تشكِّل عقيدة "موافقة الدول" المبرر الوحيد المطروح فيما يتعلق بشرعية النظام القانوني الدولي. على العكس من ذلك، تهدف النظرية القانونية الحديثة إلى تحقيق سلام مستدام في العلاقات الدولية من خلال احترام القانون والحل السلمي للنزاعات، وبالإضافة إلى ذلك، تشيد بوجود آليات قانونية وحكم الأمر الواقع للحكم الهرمي، سواء على المستوى المؤسسي (أي الأمم المتحدة) مجلس الأمن) والمستوى المعياري (أي القواعد الآمرة). وبهذا المعنى، نأت النظرية القانونية الحديثة حول القانون الدولي عن تشبيهات القانون الخاص وأثبتت نفسها كنظام للقانون العام. بسبب هذه الحقيقة، مثل جميع أنظمة القانون العام، يستلزم القانون الدولي الحديث شكلاً من أشكال النظام العام الأدنى ضمن العلاقات المجتمعية التي يطمح إلى تنظيمها. ونتيجة لذلك، أصبح العديد من المحامين الدوليين يفهمون ميثاق الأمم المتحدة باعتباره وثيقة تأسيسية؛ بمعنى نظرية العقد الاجتماعي (سور ٢٠١٢، ص. ١١٦ وما يليها ؛ انظر فوس، ٢٠١٣ ؛ أوكونيل، ٢٠٠٨ ؛ ياسواكي، ٢٠٠٣).

في هذه المرحلة تدخل نظرية الحرب الهجينة. فهي تقترح استخدام وإساءة استخدام القانون الدولي للتحايل على المسؤولية الدولية. فالتشويش القانوني الذي حدث خلال الحرب الهجينة ليس نتاجًا ثانويًا للاستراتيجية؛ يجب أن يُنظَرَ إليه على أنه أحد مكوناته الأساسية. من خلال التسبب "بضبابية في القوانين"، تهدف استراتيجية الحرب الهجينة إلى تشويش المراقبين المحليين والدوليين عن وقائع الوضع خلال المراحل الأولية للنزاع، بحيث يصبح من الصعب تصنيف الوضع قانونياً وتحديد القانون الواجب التطبيق وتقييم مسؤولية أي طرف والرد على التوالي من خلال الآليات القانونية المناسبة. على هذا النحو، نظرية الحرب الهجينة ترشد النشاط السري دون إثارة أسئلة حول صحة النظام القانوني. وبعبارة أخرى، فإنه يشكِّل محاولة للتهرب من القواعد المطبَّقة، وليس إنكارها: المعتدي لا يفترض أو يدعي أي شكل من أشكال الشرعية؛ على العكس من ذلك فإن الدول المنخرطة في حرب هجينة تعلن شرعيتها خلال جميع مراحل النشاط العسكري. ويستند هذا الادعاء إما إلى عدم تنظيم السلوك المعني أو عدم سريان القانون النافذ. في أي حال، فإن الدولة تدعي عدم المسؤولية بسبب تشويش الوضع. ضمن هذا المنظور، تتحول نظرية الحرب الهجينة

إلى ناتج ثانوي لا مفر منه للإطار القانوني الذي يحكم العلاقات الدولية. كما قال البروفيسور كورهونن:

"تستغل الحروب الهجينة عدم قابلية قياسها وتعددية أشكالها التي يقوم النظام الدولي القانوني بقمعها جزئيًا تحت عنوان الدولة السيادية ويسمح جزئيًا بوضع مساحة قانونية محدودة للمنظمات غير الحكومية والشركات متعددة الجنسيات والأفراد. الحروب الهجينة تضبط أساليبها بالنظر إلى هذا التشكُّل في الحيِّز القانوني ووفقًا لأهدافها الملموسة. "(كورهونن، ٢٠١٥، ص ٤٥٩)

في ضوءِ هذه الحقيقة، يتطلب الرد القانوني على استراتيجية الحرب الهجينة النظر بشكل خاص في المجال القانوني الذي سمح بصياغتها. في هذه المرحلة، علينا أن نعترف بأن الكتابات الحالية حول استراتيجية الحرب الهجينة محدودة وأن تعاريف الحرب الهجينة تختلف من مؤلف لآخر. ومع ذلك، هناك عناصر يمكن ملاحظتها تربط التهجين بالاستراتيجية العسكرية التقليدية والتي تتوافق مع إساءة استخدام المجال القانوني المحدد حاليًا (انظر هوفمان، ٢٠٠٩، ص. ٣٦ وما يليها ؛ ؛ فيتالي، ٢٠١٥، ص. ١٤ وما يليها):

(١) الاستخدام الواسع النطاق للعناصر غير التقليدية وغير النظامية وغير الحكومية في النزاع المسلح: إن استخدام العناصر غير التقليدية وغير النظامية وغير الحكومية في الحرب يشكك في مدى تطبيق القوانين المتعلقة باستخدام القوة. وبالمثل، يسمح لأجهزة الدولة القانونية بالتهرب من إعلان المسؤولية عن تلك الأفعال التي عادة ما تعتبر عملاً عدوانيًا يوفِّر الأساس القانوني للدولة للالتفاف عن إعلان المسؤولية عن الأضرار الناجمة. بالإضافة إلى ذلك في بعض الحالات، يسمح استخدام العناصر غير الحكومية للنزاع بالبقاء دون مستويات معينة، وبالتالي لا يلبِّي تلك العتبات القانونية اللازمة لتطبيق قوانين النزاع المسلح (فيتالي، ٢٠١٥، ص ١٦).

(٢) استخدام الفضاء الإلكتروني وتقنيات الاتصالات: على الرغم من أنه أصبح أداة لا غنى عنها في التفاعل العالمي، فإن تنظيم الفضاء الإلكتروني لا يزال خارج نطاق احتكار أي دولة وهو في الأساس غير منظم. على سبيل المثال، فإن اللوائح الدولية الوحيدة الموجودة بالفعل بشأن التهديد المتزايد باستمرار للجريمة السيبرانية هي معاهدة بودابست، التي تم توقيعها في عام ٢٠٠١ والتي

دخلت حيز التنفيذ في عام ٢٠٠٤. وكان لهذه المعاهدة ٤٨ تصديقاً وانضماما حتى هذا التاريخ. بدون وجود إطار فعال للمعاهدة، من الصعب للغاية وضع قواعد عرفية خاصة باستخدام الفضاء الإلكتروني وتقنيات الاتصالات الحديثة في حالات الحرب، في حين تم اقتراح مقترحات مذهبية ملموسة بشأن تنظيم هذه المجالات (أي ٢٠١٣ تالين مانويل)، لا توجد معايير ثابتة بموجب قوانين الحرب العرفية مع إشارة محددة إلى هذه البيئات.

إن ميزة إخفاء الهوية التي تتمتع بها البيئة السيبرانية بالتزامن مع عدم وجود تنظيم فعَّال يسمح للفضاء الإلكتروني بأن يصبح عتاداً ثميناً للاستراتيجية العسكرية. قد تتمتع الدول بقدر كبير من الإفلات من العقاب في نشاطها الإلكتروني، لا سيما عن طريق ملاحقة الأفراد أو الشركات أو غيرها من أشكال الجهات الفاعلة غير الحكومية في الإعداد والتنسيق والبدء في تنفيذ هجمات واسعة النطاق لشبكات الحاسوب بهدف جمع المعلومات، وإتلاف أنظمة المعلومات والتسبب في أضرار للبنية التحتية السيبرانية للدول المُهَاجَمَة (انظر Schröfl & Rajaee، ٢٠١١). لقد تم إثبات ذلك بالفعل في هجمات تيتان راين عام ٢٠٠٣[١٠] وفي الهجمات الإلكترونية ضد إستونيا في عام ٢٠٠٧. في كلتا الحالتين وإن كان دليلًا قويًا على أصول الهجمات، لم يكن من الممكن إسناد المسؤولية إلى شخصية قانونية لدولة أجنبية.

(٣) إدراج الجريمة، بما في ذلك الإرهاب في الاستراتيجية العسكرية: إن استخدام المنظمات الإجرامية المحلية والعالمية والجماعات الإرهابية لدعم القوى المدمِّرَة اجتماعياً داخل الدولة الضحية بهدف محدد هو إضعاف التماسك الاجتماعي والاستقرار المؤسسي يمثِّل الجانب الذي يستحوذ على النصيب الأكبر من النقاش من استراتيجية الحرب الهجينة.

تظل لوائح الإجرام والإرهاب إلى حد كبير داخل الولايات القضائية المحلية للدول. ونتيجة لذلك، فإن النظر في الإجرام والإرهاب بموجب القوانين المتعلقة باستخدام القوة يثبت أنه أمر صعب للغاية. علاوة على ذلك، فإن الإطار المعياري الدولي الحالي بشأن الإجرام يقتصر عموماً على الإجرام الدولي (أي اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الجريمة المنظّمة العابرة للوطنية لعام ٢٠٠٠)

[١٠] **تيتان راين** هو الاسم الذي أطلقته الحكومة الأمريكية الفيدرالية لسلسلة من الهجمات المنسقة على أنظمة الحاسوب الأمريكية منذ سنة ٢٠٠٣، واستمرت لثلاث سنوات على الأقل. وانطلقت الهجمات من مقاطعة فوانغدونغ الصينية.

وتعتمد فعاليتها على المؤسسات المحلية. ودعونا لا ننسى أن الجريمة الدولية تشكِّل قطاعاً مربحاً للغاية. (وفقًا لمكتب الأمم المتحدة المعني بالمخدرات والجريمة، لا تزال الجريمة المنظمة الدولية تشكل ١.٥٪ من الناتج المحلي الإجمالي العالمي).

من ناحية أخرى، فإن اللوائح الدولية للإرهاب كانت على الدوام مُحبِطَة بسبب الطبيعة السياسية للمفهوم. ومن ثم، يبقى الإطار المعياري للإرهاب بحاجة إلى إملاء. لا تزال التدابير المعيارية الملموسة والعقوبات التي اعتمدها مجلس الأمن الدولي تركِّز على الإرهاب المتصل بتنظيم القاعدة وقدرات الدول واستعدادها لتطبيق بنود المعاهدات ذات الطابع الأكثر عمومية، فمثلاً الاتفاقية الدولية لقمع تمويل الإرهاب عام ١٩٩٩، ما زالت مفتوحة للنقاش. ومن ثم، فإن الجماعات الإجرامية المحلية والدولية – بما في ذلك العناصر الإرهابية المأجورة – توفِّر الفرص لمبادرات السياسة الخارجية العدوانية. على غرار استخدام الكيانات الخاصة في تنفيذ هجمات إلكترونية أو استخدام جماعات مسلحة غير حكومية ضد دولة أخرى، فإن استخدام الجماعات الإجرامية والمنظمات الإرهابية من أجل زعزعة استقرار الدولة الضحية يسمح بمنع تحميل المسؤولية على هكذا عمل ضد الدولة المحرّضة.

(٤) إساءة استخدام نقاط الضعف الهيكلية: مع استخدام جميع العناصر المذكورة أعلاه، **تهدف استراتيجية الحرب الهجينة إلى محاكاة حالات فشل الدولة؛ حيث تصبح أجهزة الدولة الآيلة للفشل منفصلة عن بعضها وغير منظَّمة إلى حد عدم فعاليتها أو عدم استجابتها في تحديد تهديد وشيك للأمن القومي للبلد وعدم قدرتها على تنسيق حالة تعبئة عامة للدفاع ضد العدوان الأجنبي. من هذا المنظور، تتضمن استراتيجية الحرب الهجينة استغلال القوى الاقتصادية والديموغرافية والسياسية داخل الدولة وتضفي الشرعية على استخدام الأدوات التخريبية من أجل التلاعب بعوامل تفرقة المجتمع.** كما أعرب البروفيسور كورهونين، **هذا هو السبب في أن الحرب الهجينة تعمل بشكل أفضل ضد الدول التي هي بالفعل غير مستقرة سياسياً وقانونياً واجتماعياً، وهي دول تحتوي على مستوى معين من التهجين** (كورهونن، ٢٠١٥).

لا يمكن أن يكون هناك شك في أن مسألة الضعف الهيكلي لدولة ما تتجاوز مجال القانون الدولي وتتعلق بالحكم الرشيد والمهارة في إدارة الدولة. ومع ذلك، قد يوفِّر القانون الدولي آليات لمكافحة إساءة استخدام العناصر غير الحكومية، والفضاء الإلكتروني، وتقنيات الاتصالات، والإجرام والإرهاب. إن اعتماد مثل هذه الآليات يتطلب بالضرورة إعادة تقييم للمفاهيم والقواعد الحالية بشأن تحميل التصرف غير القانوني إلى كيانات الدولة. إن السؤال المتعلق بكيفية إجراء إعادة التقييم هذه يتطلب دراسة منفصلة وسيشكل موضوع الجزء الثاني من عرضنا.

المحور الثاني

بموجب القانون الدولي، تطوَّرت المصطلحات القانونية المتعلقة بالحرب بشكل منفصل بموجب قوانين استخدام القوة وقوانين النزاع المسلح:

وفقًا للقوانين الحديثة المتعلقة باستخدام القوة، يتم التعبير عن الجوانب القانونية للحرب من خلال اللجوء إلى مفاهيم "استخدام القوة" و"الهجوم المسلح" و "العدوان"، وكلها ظاهرة ضمن ميثاق الأمم المتحدة. في حين أن أياً من هذه المفاهيم لا يجد تعريفاً واضحاً في إطار الميثاق، فقد قدَّمت الممارسة الدولية بعض التوضيحات بشأن محتواها ونطاقها (انظر Dör، ٢٠١٥ ؛ Wood، ٢٠١٣). مفهوم استخدام القوة، كما يظهر في الفصل. ٢ (٤) من ميثاق الأمم المتحدة وعلى ضوء الأعمال التحضيرية للميثاق، يتم قبولها عمومًا باعتبارها مطابقة تمامًا للقوة العسكرية. يعترف المحامون الدوليون باستخدامات القوة غير القانونية – على سبيل المثال، فإن استخدام القوة من قبل الدولة في الدفاع عن النفس أو داخل إقليمها سيشكِّل شكلاً قانونياً من أشكال استخدام القوة. قررت محكمة العدل الدولية، في حكمها لعام ١٩٨٦ بشأن الأسس الموضوعية في قضية النشاط العسكري وشبه العسكري في نيكاراغوا وضدها، أنه فيما يتعلق بعدم قانونية القوة، فإنها لا تحتاج إلى أن ترقى إلى مستوى "الهجوم المسلح" أو "العدوان" من أجل اعتباره مسؤولية دولية. "هجوم مسلح"، كما هو متوقع بموجب المادة ٥١ من ميثاق الأمم المتحدة وكما صاغته محكمة العدل الدولية، و "العدوان"، كما يظهر في المادة ٣٩ من ميثاق الأمم المتحدة، يشكل أخطر أشكال

الاستخدام غير القانوني للقوة (نيكاراكوا، الفقرة ١٩١ وما يليها). تم تنظيم العدوان، على وجه التحديد، باعتباره جريمة دولية بموجب النظام الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية (المادة ٨ مكرر). تم تفصيل المفهوم القانوني للعدوان من قبل الجمعية العامة للأمم المتحدة بموجب القرار ٣٣١٤ لعام ١٩٧٤ بشأن تعريف العدوان، والذي يعتبر اليوم يمثل القانون الدولي العرفي. وفقًا للقرار، يشمل العدوان جميع أشكال النشاط المسلح التقليدي تقريبًا من درجة معينة داخل أو ضد دولة أخرى تجري دون موافقتها. ويشمل هذا النشاط أشكالًا غير تقليدية أو غير مباشرة للسلوك العسكري، مثل "إرسال أو إنابة العصابات أو الجماعات المسلحة أو غير النظامية أو المرتزقة عن دولة ما" (المادة ٣ / ز).

قانون النزاع المسلح من ناحية أخرى ينطبق على حالات النزاعات المسلحة. على الرغم من عدم وجود نص واضح على ما يشكِّل نزاعاً مسلَّحاً (فيتالي، ٢٠١٥، ص ١٨)، فقد قدمت المحكمة الجنائية الدولية ليوغوسلافيا السابقة تعريفًا موثوقًا به كثيرًا في قضية تاديتش[١١] عام ١٩٩٥، والذي ينص على ما يلي: "يوجد نزاع مسلح عندما يتم اللجوء إلى القوة المسلحة بين الدول أو حدوث عنف مسلح مطوّل بين السلطات الحكومية والجماعات المسلحة المنظمة أو بين هذه الجماعات داخل الدولة" (Tadić، ١٩٩٥، الفقرة ٧٠). في ضوء هذا التعريف بموجب قوانين النزاع المسلح، يتم تصنيف جميع حالات النزاع المسلح إما على أنها "نزاع مسلح دولي" أو "نزاع مسلح غير دولي" (Dinstein، ٢٠١٤، pp. 1 ff.). نزاع مسلح دولي، على النحو المحدد في البند الثاني المشترك من اتفاقيات جنيف لعام ١٩٤٩ التي تنطوي على أعمال عدائية مسلحة بين دولتين أو أكثر من الدول ذات السيادة، بغضِّ النظر عما إذا كانت حالة الحرب قد أُعلِنَت أم قُبِلَت. يشمل النزاع المسلح الدولي جميع حالات الاحتلال الإقليمي الجزئي أو الكلي لأحد أطراف النزاع، وبموجب البروتوكول الإضافي الأول لعام ١٩٧٧، تمَّ توسيع نطاقه ليشمل حروب التحرير الوطنية. نزاع مسلح غير دولي، على النحو الوارد في المادة المشتركة ٣ من اتفاقيات جنيف والبروتوكول الإضافي الثاني لعام ١٩٧٧، ليس له تعريف عام بموجب قانون المعاهدات. ومع ذلك، هناك

[١١] **دوسان تاديتش**: وتنص المذكرة القانونية على أن أحكام الانتهاكات الجسيمة تنص على اختصاص قضائي عالمي إلزامي فقط فيما يتعلق بخروقات الاتفاقات المرتكبة في النزاعات الدولية المسلحة.

إجماع عام على أن هذا المفهوم لا يشمل جميع أشكال العنف الداخلي. ومن ثم، فإن تحديد وجود نزاع مسلح غير دولي يستلزم الوصول الى حد أدنى معيّن حتى تكون قوانين النزاع المسلح قابلة للتطبيق على حالة النزاع الداخلي. في هذا الصدد، يتوقَّع البروتوكول الإضافي الثاني عتبة أعلى مقارنةً بالبند المشترك. ٣ (انظر عزون، ٢٠٠٧).

كما يتضح مما سبق، فإن مفهوم الحرب الهجينة لا يتناسب مباشرة مع أي من التعريفات القانونية التي يتم اللجوء إليها حاليًا في التعامل مع شرعية الحرب بموجب القانون الدولي. هذا أمر طبيعي لأن مفهوم الحرب الهجينة سياسي ويحدد الاستراتيجية العسكرية التي تتضمن العديد من التدابير المختلفة المتَّبعة لتحقيق الأهداف العسكرية والسياسية. لا يمكن أن يكون هناك شك في أن تنفيذ شكل ما من أشكال استراتيجية الحرب الهجينة ضد دولة ثالثة بهدف تعزيز المصلحة الوطنية سوف يتطابق مع مظهر السياسة الخارجية العدائية أو حتى العدوانية تجاه الدولة المستهدفة. سواء كانت مثل هذه الأعمال بمثابة استخدام للقوة أو يمكن اعتبارها عدوانًا فهي مشكلة. إن عدم السماح باستراتيجية الحرب الهجينة والاستخدام المكثف للأدوات غير العسكرية لا يسمح لنا بتقديم إجابة مباشرة على هذا السؤال. ومع ذلك، فإن العديد من جوانب هذه الاستراتيجية ستشكِّل بالتأكيد محاولة للتدخل بأشكال محظورة، بمعنى التدخل الديكتاتوري فيما أشارت إليه محكمة العدل الدولية في الحكم الصادر في قضية نيكاراغوا لعام ١٩٨٦ بأنها "مسائل تهم كل دولة تسمح، بمبدأ سيادة الدولة، لتقرر بحرّيّة "(نيكاراغوا، ١٩٨٦، الفقرة ٢٠٥).

من ثم، لا يمكن تفسير أهداف ومقاصد الدولة التي تلجأ إلى استراتيجية الحرب الهجينة بما يتماشى مع المبادئ الأساسية التي تحكم العلاقات الدولية الحديثة. علاوة على ذلك، **فإن التنفيذ الناجح لاستراتيجية الحرب الهجينة دون أي تبعات قانونية على المستوى الدولي من شأنه أن يُثبِتَ الأسبقيّة وقد يصل إلى درجة الاعتراف الضمني بشرعية أشكال السلوك السرية التي تؤدي إلى عواقب مماثلة لعواقب العدوان.** تماشياً مع مبدأ قواعد القانون، ينبغي ألا يشكِّل عدم وجود استراتيجية عسكرية أو عدم اتباعها مساراً خطّيّاً أساساً للسماح لأعضاء المجتمع الدولي بالتحايل على التزاماتهم القانونية تجاه احترام الاستقلال السياسي والسلامة الإقليمية للدول الأخرى..

يجب أن نلاحظ أنه في هذه المرحلة، لا ينبغي اعتبار الصعوبات عيباً هيكلياً للنظام القانوني الدولي الحالي. فمثل هذه الصعوبات تشكِّل أجزاءً من العملية الطبيعية. مثل كل النُّظُم القانونية، فإن القاعدة العامة هي أن القانون الدولي يتفاعل. ويعتمد تقدمه على التطورات المادية والمعنوية والسياسية التي تحدث في العالم المادي، ويمكنه فقط تقديم إجابات للقضايا بمجرد حدوث اتفاق عام بين تلك القوى التي تتمتع بسلطة صنع القوانين داخل النظام (انظر ماكدوغال ولاسويل، ١٩٥٩، ص ٥). هذا هو الحال خاصة عندما تواجه تغييرات في الحرب. لا يمكن للمحامين استباق الطريقة التي تتطور بها الحرب. يمكنهم فقط مراقبة التطور، والقلق من عواقبه والتشكيك في فعالية الآليات الموجودة مسبقًا في التعامل معها. إذا تبيَّن أن الآليات الموجودة غير فعّالة، فإنَّ القانون الدولي يوفِّر خيارات قابلة للتطبيق لعملية سن القوانين من أجل معالجة جوانب التغيير التي لا يمكن معالجتها بموجب النماذج القانونية السارية.

على سبيل المثال، قد يتم التوصل إلى اتفاق سياسي حول هذا الموضوع، مما يؤدي إلى اعتماد إطار قانوني عام جديد ينطبق على الموقف. كان هذا هو الحال على سبيل المثال، في إدراج "النزاعات المسلحة غير الدولية" في اتفاقيات جنيف لعام ١٩٤٩ بموجب المادة الثالثة المشتركة. لم يتم قبول ضرورة تنظيم قواعد السلوك الدنيا والتنبؤ بها أثناء الحروب الأهلية إلا بعد حدوث الأعمال الوحشية التي ارتكبت خلال الحرب الأهلية الإسبانية عام ١٩٣٦ (بيرنا، ٢٠٠٦، ص ٤١ وما يليها). مع الأخذ في الاعتبار تباطؤ وتيرة عمليات إبرام المعاهدات، قد يعتمد المجتمع الدولي أيضًا تدابير قانونية من خلال المؤسسات الدولية القائمة التي تبدو الأنسب لمعالجة مسألة فورية. كان هذا هو الحال على سبيل المثال في اعتماد قرار مجلس الأمن الدولي رقم ٢١٧٨ (٢٠١٤) الذي أنشأ إطاراً معيارياً عامّاً ضد انتشار "المقاتلين الإرهابيين الأجانب" (انظر كراينمان، ٢٠١٤). وتشمل الطريقة الأخرى إعادة تقييم النظم القانونية القائمة وإعادة تفسير المفاهيم القانونية بواسطة الآليات الدولية من أجل تحديث المفاهيم القانونية في ضوء الظروف المعاصرة. وطُبِّقَت هذه الطريقة في الغالب في القضايا القضائية الدولية من أجل تقديم إجابات لأسئلة القانون التي واجهت في المحاكمات المؤجّلة. من خلال هذه الطريقة تمكنت المحاكم المحلية والدولية ومحاكم حقوق

الإنسان في التسعينيات من توسيع نطاق تطبيق قانون حقوق الإنسان ليشمل حالات النزاع المسلح الدولية وغير الدولية (انظر Arnold & Quénivet، ٢٠٠٨).

من الممكن تقديم المزيد من الأمثلة على الخيارات القابلة للتطبيق، ومع ذلك يكفي أن نشير إلى أنه بالنظر إلى الوضع السياسي والصعوبات الناشئة عن الطبيعة الغامضة لاستراتيجية الحرب الهجينة، فلن يكون الوصول إلى نتيجة اعتماد أي أداة محددة بشأن استراتيجية الحرب الهجينة أمر مستحيلاً. علاوة على ذلك، من المشروع أيضاً التساؤل عما إذا كان اعتماد أطرٍ قانونية عامة أو محددة ضد الحرب الهجينة سيكون فعالًا أم أنه أمر مرغوب فيه أم لا. حيث يضمن غموض الاستراتيجية أنه يمكن أن يتكيّف بسرعة مع التعاريف المُلزِمَة قانوناً وإيجاد طرق لاستبعاد نفسه من نطاق القانون الدولي.

في هذه المرحلة، يجب ألا ننسى أن ما يجعل الاستراتيجية العسكرية قابلة للتطبيق هي إمكانية أن تكون فعّالة في تحقيق الأهداف العسكرية والسياسية. في مجال قوانين الحرب، كان لفعالية استراتيجية أو سلاح عسكري معين تأثير دائم على نجاح تلك القواعد والمبادئ المعتمدة بهدف الحد من تنفيذها. فعلى سبيل المثال، حظر مجلس لاتران[١٢] الثاني لعام ١١٣٩ استخدام الأقواس في النزاعات الأوروبية، وهو حظر لا يتمتع باحترام عام في أوروبا. ومع ذلك، تم تعزيز حظر القوس والنشاب في إنجلترا حتى القرن السادس عشر، ليس بسبب أي اتفاق عام ضده، ولكن لأن السلطات تعتقد أن الفلاحين سوف يضيّعون الوقت مع الأقواس ويتوقفون عن استخدام القوس الطويل[١٣]؛ التي كانت تُدرَّس في ذلك الوقت على أنها سلاح حربي أكثر فاعلية (جونسون، ١٩٨١، ص. ١٢٨ وما يليها؛ Creveld، ١٩٩١، ص. ٤١٦ وما يليها ؛ ؛ جنسن، ٢٠١٣، ص ٢٨٤). مع أخذ هذا في الاعتبار، يجب على أي مقاربة قانونية لاستراتيجية الحرب الهجينة، من أجل مواجهتها، أن يعتمد تدابير تعالج فعاليتها المحتملة.

هذه الحقيقة تعيدنا إلى العناصر الأساسية لاستراتيجية الحرب الهجينة؛ إن جميع عناصر الحرب الهجينة – بما في ذلك استخدام الجهات الفاعلة غير الحكومية – والفضاء الإلكتروني والإجرام،

[١٢] **لاتران** موقع في روما يضم كاتدرائية كاثوليكية.
[١٣] **القوس الطويل** يُمسَك باليد ويطلق سهماً مذيلاً بالريش، وكان السلاح الرئيسي في الحروب الانكليزية في القرن الرابع عشر حتى انتاج الأسلحة النارية.

هي أدوات لإخفاء هوية الدولة التي ترتكب الجريمة. وتعمل الحرب الهجينة إلى حد بعيد من أجل التهرّب من تحميلها المسؤولية عن الأعمال العدائية ولمنع تطبيق الأنظمة القانونية القائمة. في ضوء هذه الحقيقة، يجب أن تشمل الاستجابات القانونية لاستراتيجية الحرب الهجينة إعادة تقييم لقواعد تحميل المسؤولية المتعلقة بسلوك الجهات الفاعلة غير الحكومية إلى الحكومات. ويجب أن تهدف عملية إعادة التقييم هذه إلى التقليل من مطالبة الدول بمزيد من المرونة في القانون الدولي بحيث يشمل المزيد من هذه الحالات، وجعل السلوك غير القانوني غير مُجدٍ. إن إعادة التقييم هذه لن تؤدي الى تحديث في تطوير القانون الدولي. على العكس من ذلك، كان على الآليات الدولية التعامل مع المواقف المماثلة وتقديم معايير مختلفة في تقرير القضايا المتعلقة بتحميل المسؤولية عن سلوك.

على سبيل المثال، في قضية نيكاراغوا لعام ١٩٨٦، أنشأت محكمة العدل الدولية معايير "السيطرة الفعالة" من أجل التوصل إلى حكم بشأن إسناد الأفعال التي ترتكبها غير الدول. وعليه، فإننا نعتبر أن أفعال الجهات من غير الدول ترقى إلى مستوى الاستخدام غير القانوني للقوة المنسوبة إلى كيان تابع للدولة، إذا كان نطاق الفعل وتأثيره بمثابة هجوم مسلح وكانت الدولة قد وجَّهت الفاعل غير الحكومي أو نفَّذت الهجوم (نيكاراغوا، ١٩٨٦، الفقرة ١٠٥–١١٥). وتعرَّض هذا المبدأ للنقد، لأنه كما يتّضح من قضية الإبادة الجماعية البوسنية لعام ٢٠٠٧، فمن الصعب إقامة مثل هذه العلاقة القوية بين أفعال الفاعل غير الحكومي وكيان الدولة (انظر Cassese، ٢٠٠٧). هذا هو الحد الأعلى الذي يسمح من نواحٍ كثيرة لنظرية الحرب الهجينة بالنمو.

ومع ذلك، فقد أظهرت الحالات الدولية الأخرى في التسعينيات ابتكارًا في التعامل مع مشكلات إسناد السلوك. على سبيل المثال، في قضية تاديتش لعام ١٩٩٥، وضعت المحكمة الجنائية الدولية ليوغوسلافيا السابقة معايير أكثر مرونة في تحديد إسناد انتهاكات قوانين النزاع المسلح من أجل إثبات قابلية تطبيق القواعد والمبادئ التي تحكم حالات النزاع المسلح. والمعروفة باسم اختبار "السيطرة الكاملة"، تهدف المحكمة إلى:

"منع الدول من الإفلات من المسؤولية الدولية عن طريق إسناد مهام ينبغي أو لا ينبغي أن يؤديها مسؤولو الدولة الى أفراد عاديين، أو عن طريق الادِّعاء بأن الأفراد المشاركين فعليّاً في السلطة الحكومية لا يُصنَّفون كأجهزة حكومية بموجب التشريعات الوطنية وبالتالي لا تتحمل الدولة المسؤولية (تاديتش، ١٩٩٩، الفقرة ١١٧)"

ووفقاً لهذا المنظور، خلصت المحكمة إلى أن حكم القانون يستلزم **إثبات مسؤولية الدولة عن أعمال الوحدات العسكرية أو شبه العسكرية غير الحكومية إذا أظهرت الدولة المعنيَّة شكلاً من أشكال السيطرة الكلّيّة على هذه الكيانات. ولا تعني السيطرة الكاملة تجهيز أو تمويل أو تدريب أو تقديم دعم عملياتي للجماعات غير الحكومية فحسب، بل شملت أيضا التنسيق والمساعدة المُقَدَّمَة في التخطيط العام للنشاط العسكري** (Tadić، ١٩٩٩، الفقرة ١٣١). في حين يقتصر تطبيق قوانين النزاع المسلح على أن تطبيق معايير السيطرة الكاملة يدل على أنه في ظل الضرورة، فإن نموذج حكم القانون يوفِّر للآليات الدولية أداة عامة لإعادة تعريف المفاهيم القانونية من أجل توسيع نطاق الأنظمة القانونية.

وقد تبنّت المحكمة الأوروبية لحقوق الإنسان مؤخراً مقاربة مشابهة في القضايا المتعلقة بالوحدة الإقليمية الانفصالية في ترانس دنيستر في مولدوفا، للبت في المسائل المتعلقة بإسناد المسؤولية إلى روسيا عن انتهاكات الاتفاقية الأوروبية لحقوق الإنسان، أنشأت المحكمة مفاهيم غير موجودة سابقًا. على سبيل المثال، في قضية ايلي إليكو [١٤] لعام ٢٠٠٤، خَلُصَت المحكمة إلى أنه فيما يتعلَّق بالتزامات روسيا، فإن النطاق القضائي للاتفاقية الأوروبية لحقوق الإنسان امتد ليشمل الأفعال التي ارتكبتها الوحدة الإقليمية الانفصالية (Ilaşcu، ٢٠٠٤، الفقرة ٣٧٦- ٣٩٤). ووفقًا للمحكمة، تم تحميل روسيا المسؤولية، مبدئياً بسبب المشاركة النشطة للجيش الرابع عشر خلال الصراع الانفصالي، بل وحتى بعد سريان وقف إطلاق النار، حيث تسبب الدور الروسي في استمرار الوضع الفعلي. توصلت المحكمة إلى أن الوحدة الإقليمية الانفصالية لا يمكن أن توجد بدون الدعم العسكري والسياسي والاقتصادي لروسيا. ومن ثم، خَلُص إلى أن النظام الانفصالي ظل

[١٤] **ايلي إليكو** سياسي روماني مولود في مولودوفيا. اشتّهر بعد أن حكمت عليه حكومة ترانسنيستريا الانفصالية بالإعدام بدعوى مشاركته في قتل شخصين ووفي الأحداث التي وصفتها محكمة الارهاب الحكومية المولومدوفية : مسؤولو الحكومة الترانسنيسترية.

تحت "السلطة الفعّالة"، أو على الأقل تحت "التأثير الحاسم" لروسيا. وترى المحكمة أنه نتيجة لهذا الارتباط، يجب أن تُفَسَّر الأفعال التي يرتكبها أعضاء الوحدة الإقليمية الانفصالية في انتهاك للاتفاقية على أنها تُعزى إلى روسيا (Ilasçu، الفقرة ٣٩٢). واستخدمت المحكمة مفهوم "التأثير الحاسم" في قراراتها المتعلقة بدولة ترانسنيستريا Trans-Dniester (على سبيل المثال قضية Catan، ٢٠١٢).

لا نعتزم تحديد المعايير الحالية الأنسب في تقييم القضايا المتعلقة بإسناد التصرف في حالات الحرب الهجينة أو اقتراح طريقة جديدة. بدلاً من ذلك، نريد أن نظهر وجود معايير مختلفة، تنطبق على المواقف المختلفة. **إن هذه المعايير التي تطوّرت أساساً من خلال آليات دولية كافية للقول بأن القانون الدولي يمكن أن يستجيب لعناصر استراتيجية الحرب الهجينة التي تجعله فعّالاً من خلال إنشاء حجة تستند إلى عدم إسناد الأفعال التي ترتكبها الدولة الى غير الجهات الحكومية.** من أجل التخمين -على سبيل المثال- في إعادة تفسير الفضاء القانوني، يمكن للآليات الدولية أن تنسب انتهاكات حقوق الإنسان التي ترتكبها جهات فاعلة من غير الدول خلال حالة نزاع مسلح داخلي إلى كيانات دولة أجنبية إذا أمكن إقامة صلة منطقية على الدول الحاسمة التأثير على سلوك الفاعل غير الحكومي المعني. علاوة على ذلك، فمن الناحية النظرية يمكن تقييم نفس المعايير، من أجل تحديد إسناد التصرف غير القانوني لأفعال الجماعات الإجرامية التي تعمل داخل أراضي الدولة الضحية أو الأفراد الذين يمارسون الإجرام الإلكتروني من الخارج من أجل تعزيز مصالح السياسة الخارجية للدولة.

في أي حال، ما إذا كان سيتم إعادة تقييم المعايير الحالية بهدف توسيع نطاق القانون الدولي ليشمل سيناريوهات الحرب الهجينة أو الآليات الجديدة الماهرة في التعامل مع مثل هذه الحالات، تعتمد على اعتبارات سياسية. لا يمكن أن تتشكل الاستجابة القانونية للحرب الهجينة بموجب القانون الدولي، سواء بموجب قانون المعاهدات أو بموجب الأطر المؤسسية، إذا كان هناك اتفاق كافٍ داخل المجتمع الدولي على أن التهديد يجب التعامل معه من خلال القانون الدولي. تواصل الدول وضع القانون الدولي للدول. وعليه، فإن الأمر متروك للدول لتقرر ما إذا كان من المهم أم

لا بالنسبة للقانون الدولي أن يغطي التغيير في طبيعة الحرب. ومن ثم، فإن الاستجابة القانونية للحرب الهجينة بموجب القانون الدولي تعتمد على ضرورة الرد. بمعنى آخر، سيكون من الممكن التنبؤ بالتطورات القانونية استجابةً لاستراتيجية الحرب الهجينة فقط بمجرد أن يصبح من الواضح أن الأمثلة الحالية لم تعد استثنائية وأنه خارج نطاق النظرية، وتشكِّل استراتيجية الحرب الهجينة تهديدًا حقيقيًا لمستقبل السلام والأمن الدولي. يقودنا هذا إلى ملاحظاتنا الختامية بشأن الحدود الهيكلية للقانون الدولي، وخاصة فيما يتعلق بالتهديد بالحروب الهجينة.

الخلاصة: القصور الهيكلي

نظرية الحرب الهجينة ليست تعبيرًا بسيطًا عن تطور محدد في وسائل الحرب وأساليبها. تؤكِّد نظرية الحرب الهجينة – كاستراتيجية عسكرية – على جانب هام من الإطار السياسي المعاصر للعلاقات الدولية. كما أعرب البروفيسور كورهونين، فإنه بسبب هذا الإطار المحدد "تسعى للتركيز حصرياً على تحقيق النصر العسكري، تسعى [الدول] إلى السيطرة على العدو وإخضاعه من خلال تدابير سياسية واقتصادية وإعلامية وإنسانية وغيرها من التدابير" (كورهونين، ٢٠١٥، ص.٥٩). لا يمكن أن يكون هناك شك في أن القانون الدولي كان له دور في إطلاق استراتيجيات عسكرية جديدة مثل نظرية الحرب الهجينة. من خلال إنشاء نظام عام عالمي قائم على سيادة القانون في العلاقات الدولية، فقد حفَّز أيضاً الاعتبارات السياسية والعسكرية على التوافق مع الاعتبارات القانونية (علاوة على ذلك، أصبح القانون نفسه أداة للمنافسة العدائية بين الدول، أو "القانون"). ومن ثم، فإن أي استجابة يتم وضعها من أجل إحداث تغييرات في الحرب بموجب تنظيم القانون لا يمكن أن تكون فعالة إلا إذا أخذت في الاعتبار جوانب القانون الدولي التي كانت بمثابة قوة دافعة للتغيير.

في أي حال، قد لا يوفِّر القانون الدولي جميع الإجابات المطلوبة بمجرد تنفيذ استراتيجية الحرب الهجينة.

أولاً، ترتبط استراتيجية الحرب الهجينة بتهجين نموذج الدولة القومية. كما أعلن الأستاذ كورهونن في مقالته عن الحرب الهجينة، فإن هذه الحرب تحدث لأن كلاً من الضحية والدولة المعتدية أصبحت هجينة إلى حد ما (كورهونن، ٢٠١٥). في هذا الصدد، تمسُّ نظرية الحرب الهجينة الأسئلة الحساسة ذات الطبيعة الفلسفية والسياسية التي تنطوي على مستقبل الدولة. في حين تجد الاعتبارات المتعلقة بمكافحة فشل الدولة صوتًا مسموعاً في مجال دراسات القانون الدولي، فإن مستقبل الدولة خارج نطاق هذا الفرع.

ثانياً، القانون الدولي نفسه له قيود هيكلية تمنعه من الاستجابة بشكل ملائم لبعض القضايا التي تؤثر على السلام والأمن الدوليين. ويتم تحديد هذه الحدود من قبل الهيئة السياسية، أي المجتمع الدولي، الذي ينعش الحياة في القانون الدولي. في حين أن القانون الدولي الحديث يكمن في المبدأ الأساسي المتمثل في المساواة في السيادة أمام القانون، هناك علاقة لا يمكن دحضها بين القانون الدولي والواقع السياسي للعلاقات الدولية التي تتطلب منا أن نعترف، على الأقل من الناحية الواقعية، بأننا نعيش في عالم يسمح بوجود الأول من بين نظراء. دون الاعتراف بهذه الحقيقة، يصبح من المستحيل شرح تلك الحالات التي لا يتصرف فيها القانون الدولي أو لا يستطيع التصرف فيه. مع أخذ هذا في الاعتبار، فإن الاستجابة القانونية ضد تنفيذ استراتيجية الحرب الهجينة بموجب آليات الأمن الجماعي الحالية مثل مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة تتوقف بمجرد أن يتم استخدام هذه الاستراتيجية من قبل دولة عضو تملك حق النقض (الفيتو). من هذه النقطة، يعود السؤال إلى اللغز القديم: من يحرس الحرس "Quis costodiet ipsos custodes؟". الإجابة على هذا السؤال للأسف لا تكمن في العلوم القانونية.

الجوانب الاجتماعية للحرب الهجينة

ديفيد ر. سيجال *

المقدمة

يعالج علم الاجتماع الحربي عمومًا القضايا الاجتماعية الكبرى (الكلية) لماهيّة الحروب وكيف يتم خوضها. فيما يتناول المجال الأكثر انتشارا لعلم الاجتماع العسكري العمليات الكبرى (الكلية) مثل العلاقات المدنية–العسكرية، لكنه يركّز أيضًا على القضايا على المستوى المتوسط مثل من يخدم، والأدوار التي يلعبونها، وكيف تُنظَّمُ القوات المسلحة. سأقضي بعض الوقت في التحدث عن مستويي التحليل، بالاعتماد من حين لآخر على تجربة الولايات المتحدة الأمريكية.

تبدأ المناقشات المعاصرة لعلم اجتماع الحرب بشكل روتيني مع إشارات إلى كارل فون كلاوزويتز (١٩٧٦)، إما المُثبَتَة (على سبيل المثال، إيشيفاريا، ١٩٩٥-١٩٩٦) أو المختلف عليها (على سبيل المثال، فان كريفلد، ١٩٩٥) على أهمية نظرياته في النزاعات الحديثة. في الآونة الأخيرة، لأسباب مرتبطة بما نسميه الآن الحرب الهجينة، زادت الاهتمامات بكتابات صن تزو (١٩٧١). وأنا أؤمن بالتطبيق المستمر لنهج كلاوفيتز في الحرب وانتصار المجتمع والدولة والجيش، لكنني أعتقد أيضًا أننا يجب أن ننئ بأنفسنا عن التعصب ونبحث عن زوايا جديدة لتطبيق وجهة نظره (Strachan and Hertberg–Rothe 2007).

على وجه الخصوص، أعتقد أنه يجب علينا قبول فرضية كلاوزفيتز بأن الحرب هي امتداد للسياسة، لكنني أعتقد أنه يجب علينا توسيع تعريفنا للسياسة بما يتجاوز (على الأقل) الدولة القومية، ويجب أن نُدرِج قوات غير نظامية في تعريفنا للجيش. وأودُّ أن أبدأ بتقديم تعديلين لنظريته.

واحدة من الحِكَم التي لطالما نقلتها عن كلاوزفيتز وهي: أن لكل عصر شكله الخاص من أشكال الحرب. أود أن أقوم بتعديل هذا لأقول إن كل عصر له طيفه الخاص من العمليات العسكرية. ترتكز النهاية السفلى للطيف على أكثر أشكال الصراع بدائية، وغالباً ما تشنُّها العائلات أو العشائر

أو الجماعات الدينية أو الإقليمية بدلاً من الدول. بينما النهاية العليا، التي تتسع بمرور الوقت، يتم شنها اليوم بشكل عام من قبل القوات المسلحة التي تمثِّل الدول، وكانت دائماً تتباين كدالّة للتطور التقني، وهو مجال مهم في التحليل الاجتماعي. تتضمن نهاية الطيف هذه حربًا كيماوية وبيولوجية ونووية. تتمثل إحدى التحديات الرئيسية للحرب الهجينة في أنه على الرغم من أن العمليات في النهاية السفلى من الطيف تعتبر راجحة الوقوع أكثر من الحروب التقليدية الكبيرة غير المرجَّحة للغاية، إلا أن احتمالها أكبر من الصفر، فيجب أن تكون القوات الحديثة مستعدَّة للعمل في جميع أنحاء الطيف بأكمله.

واحدة من الفروق الدقيقة المثيرة للاهتمام في الحروب المعاصرة هو أن النهاية السفلى من طيف الصراع قد تغيّرت أيضا بشكل ملحوظ عن طريق التطوُّر التقني. فأصبحت لا تقتصر بأي حال على الأسلحة البدائية، ولكنها تشارك بشكل متكرر في أشكال الحرب الحديثة، بما في ذلك حرب المعلومات. كما يعيد استخدام الذخائر التقليدية غير المنفجرة في شكل عبوات ناسفة، مع آليات تفجير متزايدة التعقيد. يجب أيضًا تعديل مفاهيم "العصر" المعاصرة من وجهة نظر كلاوزفيتز في القرن التاسع عشر حول "العصر" باعتبارها فترات تاريخية طويلة نسبيًا إلى عالم تسارع فيه نطاق الوقت، وتغيّرت التعاريف الاجتماعية للحرب بمرور العام، لا بتبدل الجيل.

كان أحد أهم مساهمات صن تزو هو تركيزه ليس فقط على هزيمة جيش الخصم، بل على هزيمة استراتيجيته، وذلك باستخدام القوات غير التقليدية (تشي) وكذلك القوات التقليدية (تشينغ). في توصيته بالهجوم على نقاط ضعف العدو، دعا إلى اتّباع مقاربة غير مباشرة للحرب، واعترف في وقت مبكر بالقيمة التكتيكية والاستراتيجية لحرب العصابات. ويسّرت الأساليب غير المباشرة التي تبنّاها المتحاربون من ذوي القدرات الحربية التقليدية المختلفة بشكل ملحوظ، حيث لم تفترض أن القوة التقليدية الأكبر قوة ستنتصر، ووفرت الأساس لما نسميه الآن الحرب غير المتماثلة أو الهجينة.

التغييرات في الحرب أم التغييرات في اللغة؟

استخدام اللغة هو ما يفصلنا عن الأنواع الأخرى، وهو أمر أساسي للتحليل الاجتماعي. تشير اللغات المختلفة إلى الاختلافات الثقافية وغير الثقافية كذلك. فداخل الثقافات، تؤثِّر اللغة على سلوكنا. فعلى سبيل المثال، ينطبق هذا الأمر على ما إذا كنَّا نعتبر أعمال الإرهاب أعمالًا إجرامية أو أعمال حرب؛ فهذه ستساعد في صياغة كيفية الاستعداد لها والرد عليها. فالأفعال الإجرامية تثير ردود فعل إنفاذ القانون، في حين أن أعمال الحرب تثير عمليات انتشار عسكرية. فعندما تعرضت المدمِّرة الأمريكية يو أس أس كول لهجوم في اليمن في أكتوبر ٢٠٠٠ وأعلنت القاعدة مسؤوليتها عنه، أُعلِنَ أنه عمل إجرامي، وعلى الرغم من إرسال قوات المارينز لتأمين السفينة، أرسلت الولايات المتحدة مكتب التحقيقات الفيدرالي و NCIS للتحقيق، وحُكِمَ على الحكومة اليمنية بأنها مذنبة في محكمة اتحادية مدنية (سيجال، هانتر، كيلتي، وكستنبوم، ٢٠٠٤). بعد ذلك بعام، في ١١ سبتمبر ٢٠٠١، عندما اختطفت القاعدة أربع طائرات مدنية وتحطَّمت ثلاث منها في برجي مركز التجارة العالمي في نيويورك والجانب الغربي من البنتاغون في واشنطن العاصمة، تم تصنيف الهجمات في البداية على أنها أعمال إجرامية، لكن إدارة بوش سرعان ما وصفتها بأنها أعمال حرب، وشنّت الحرب العالمية على الإرهاب، وغزت أفغانستان عسكريًا لغرض الإطاحة بطالبان، التي دعمت القاعدة.

أعتقد أن أحد مبادئ شن الحروب الهجينة هو أن أعمال الحرب والأفعال الإجرامية تتلاقى في أنشطة الخصم، ومن ثم يجب استخدام القوات العسكرية وقوات الشرطة على حد سواء لمواجهتها. نرى اتجاهات في الدول الحديثة لمقاربة هذه القوات أيضاً، حيث تعمل الجيوش في كثير من الأحيان مثل الشرطة، كما في عمليات حفظ السلام (التي تميل إلى مقاومتها)، في حين أن قوات الشرطة تميل للعسكرة بشكل متزايد، من حيث التقنيات والتشكيلات (على سبيل المثال، وحدات القوات الخاصة "سوات"). **علاوة على ذلك، يجب علينا أن ندرك أن ما هو الإرهاب لثقافة ما هو بطولة لثقافة أخرى. إن الفهم العابر للثقافات لأولئك الذين في المعركة – سواء الحلفاء أو الخصوم – أمر ضروري لتجنب إساءة تفسير الأعمال والقصد.**

ركّزت تحليلات الحرب خلال النصف الأول من القرن العشرين على الحرب التقليدية، التي شنَّتها القوات المسلحة للدول، وتمثّلت في الحربين العالميتين والحرب الكورية. خططت الدول الكبرى فيما بعد ودربت على عمليات مستقبلية كبرى بين القوات المسلحة التقليدية المنظمة رسميًا. ومع ذلك، في سبعينيات القرن الماضي، دفعتنا حرب فيتنام إلى الحديث عن "نزاع منخفض الشدة" (LIC) بدلاً من الحرب التقليدية، كما لو أننا لم نكن نملك خبرة في حرب العصابات. جاء المصطلح ليشمل مكافحة الإرهاب ومكافحة التمرد وبناء الدولة وحفظ السلام، وأنشطة أخرى. وغطّت حرب فيتنام طيف الصراع، من قتال الثوار ونمو العمليات الخاصة إلى الطيران العسكري والمدفعية الثقيلة والدروع. وقدم أندرو ماك (١٩٧٥) – الذي كتب عن الحروب الصغيرة – مفهوم الحروب غير المتماثلة لوصف الصراع بين المتحارِبين غير المتكافئين، ولكن لم يتبناه المجتمع التحليلي لمدة عقدين آخرين.

في الثمانينات، تحوّلت مفاهيم السبعينيات إلى "حرب الجيل الرابع"، والتي أصبحت فيها الخطوط الفاصلة بين الجنود والمدنيين وبين العمليات العسكرية والسياسة غير واضحة. وفي التسعينات أصبحنا نتحدّث عن "عمليات عسكرية غير حربية" (MOOTW)، والتي أشارت إلى أنشطة مثل البعثات الإنسانية وحفظ السلام الدولي، على الرغم من أن "الجيل الأول من عمليات حفظ السلام" (Diehl، ١٩٩٣) تضمن بشكل عام تداخل القوات العسكرية بين الأطراف المتصارعة التي أرادت فك الاشتباك، وتطوّرت نفسها إلى عمليات حفظ سلام استراتيجية أكثر قوة عسكرياً (Dandeker & Gow، ١٩٩٧). في التسعينيات، طالب فان كريفيلد (١٩٩١) بتحول أساسي في ديناميات الحرب نتيجة لرفضه لأهمية كلاوزفيتز. **وصاغ كالدور (١٩٩٩) مصطلح "الحروب الجديدة" وجادل بأن الأنماط الحديثة للعولمة أدت إلى تحول في تكتيكات القتال وأهدافه وتمويله؛ حيث تتميز الحروب الجديدة بانهيار الاصطفافات وتآكل الحدود، خاصة فيما يتعلق بخطوط القتال والأراضي والمقاتلين والضحايا والأهداف السياسية والأيديولوجية.**

قدّم الجنرال تشارلز كرولاك (١٩٩٩) فكرة حرب القطاعات الثلاث، مشيرًا إلى أنه قد تجد القوة العسكرية نفسها ضالعة في عمليات **حفظ السلام والبعثات الإنسانية ومكافحة التمرد** ضمن ثلاث

قطاعات. بينما يركز كل من هذه المفاهيم على نطاق محدود من مجموعة العمليات، فقد أدركوا جميعًا أن العمليات العسكرية قد تحدث في وقت واحد في أكثر من نقطة واحدة في هذا الطيف. تم الاعتراف بهذا بشكل أكثر صراحة في القرن الحادي والعشرين عندما بدأنا الحديث عن الحروب الحديثة باعتبارها هجينة، والتي قد تنطوي في وقت واحد على نقاط مختلفة في طيف الصراع، من مكافحة الإرهاب ومكافحة التمرد إلى مزيد من الاشتباكات التقليدية مع وحدات أكبر. النقطة الأساسية هي أن المصطلح الحديث للحرب الهجينة هو مصطلح أكثر صدقاً ووضوحاً لتصوُّر الطريقة التي خيضَت بها الحروب منذ فترة طويلة، مع اشتباكات متزامنة في نقاط متعددة من طيف النزاع، وليست جديدة، فيما مالت الدول الحديثة إلى الاستعداد لآخر الحروب والمعارك وفقا لرغباتهم، والتي كانت تميل إلى أن تكون عمليات تقليدية، ولم يكونوا على استعداد لتعلُّم الدروس المستفادة من الصراعات غير التقليدية الماضية إلا في الآونة الأخيرة فقط. في الواقع، إن قبول افتراض "الحروب الجديدة" منقطعاً عن الماضي يزيد من احتمال نسيان دروس الماضي.

في الحالة الأمريكية، بدأت حرب التحرر الوطني من البريطانيين بعمليات حرب العصابات خارج بوسطن في أواخر القرن الثامن عشر. وبالرغم من أن الجنرال جورج واشنطن استخدم العمليات غير التقليدية بنجاح كبير خلال التمرد، فقد أراد أن يبدو جيشه القارّي إلى أقصى حد ممكن مثل الجيوش الأوروبية التقليدية (حيث وقعت الكثير من عمليات حرب العصابات)، وأنشأ سابقة تاريخية تتذكر بشكل انتقائي المعارك التقليدية. على الرغم من أن الولايات المتحدة لديها خبرة تاريخية بكونها قامت بالتمرد، وبمواجهة التمرد داخلياً وخارجياً، وكقوة تقليدية، فقد تأثَّر المذهب (العقيدة) العسكري بشكل أساسي بالعامل الأخير. لدى القوى الاستعمارية القديمة دروس يمكن الاستناد إليها من تجاربها الإمبريالية، ولكن يتساءل المرء عن مقدار ما فعلوه. هل تم استخلاص الدروس من الثورة العربية في أوائل القرن العشرين في المذاهب المعاصرة؟

اللّبِنَات الاجتماعية

يجب أن يهتم التحليل الاجتماعي لأي مؤسسة أو عملية اجتماعية بالمجالات المهمة للناس والمنظمات. والجيش هو عبارة عن مؤسسة اجتماعية مركزية في معظم المجتمعات الحديثة والحرب هي عملية اجتماعية بلا شك. سأركِّز على هذه المجالات، وسأتوسع قليلاً في معانيها، وأطبّقُها على دراسة القوات المسلحة والحرب.

السكان:

تتألف جميع القوات المسلحة من مجموعة متنوعة من الأشخاص المؤثِّرين، سواء كانوا موجودين بشكل مباشر في ساحة المعركة، أو يستخدمون أدوات الحرب التي يتم تشغيلها عن بُعد من بعيد، أو يقدِّمون الدعم للمقاتلين، أو يأسرون العسكريين، أو يشكِّلون السكان التي تُجنَّد منها القوات المسلحة، والتي يلزم دعمها (أو على الأقل قبولها) للقيام بعمليات عسكرية ناجحة في دولة ديمقراطية حديثة. قد يشكِّل هؤلاء السكان أيضاً هدفاً لعمليات غير تقليدية مثل الإرهاب. إن المخاوف الرئيسية المتعلِّقة بالسكان هي **مدى تجانسها، وما هي التعريفات الاجتماعية لمن سيخدمها، وما هي الأدوار التي سيلعبونها، والدرجة التي يميز بها السكان العسكريون عن السكان المدنيين. ومن المهم للغاية أيضًا فهم القاعدة السكانية التي يعتمد عليها الخصم، ودعمها له.**

في المجتمعات البشرية القديمة، لم يكن للجيش في كثير من الأحيان وجود مستقل. بدلاً من ذلك، كان عامة السكان يقومون بالأعمال العسكرية حسب الشريحة الثقافية لهم (الشباب الأكثر شيوعًا)، ممن حملوا السلاح وأصبحوا محاربين عند الحاجة، ثم يعودون إلى مصالحهم الأخرى مثل الصيد أو الزراعة في أوقات السلام. هذا التقسيم المتدنّي للعمل عاد للظهور في النزاعات الحديثة والحالية، كما ظهر عند الفييت كونغ[١٥] وتنظيم القاعدة، ويتطلّب فهماً لثقافة العدو.

خلال القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، كان السكان الأمريكيون المرتبطون بالجيش ينحصرون في فئة الشباب من العرق القوقازي من الجنسين، وكانت العناصر من السكان التي لا

[١٥] **الفيت كونغ** أو الجبهة الوطنية لتحرير جنوب فيتنام، حركة مقاومة مسلحة فيتنامية نشطت ما بين عامي ١٩٥٤ -١٩٧٦.

تستوفي هذه المعايير مستبعدةً أو منفصلةً أو مقيَّدةً عن الوحدات والوظائف التي يمكن أن يخدموا فيها ويُمارَس التمييز ضدهم (Segal & Kestnbaum، ٢٠٠٢). كانت الأداة الرئيسية لإدارة السكان العسكريين هي أداة الاستبعاد. حددت هذه الاستراتيجية من رأس المال البشري – المهارات والمعرفة – التي يمكن أن تعتمد عليها القوات المسلحة. وبدءاً من منتصف القرن العشرين، أصبح الجيش أكثر شمولية، وكما هو الحال بالنسبة للشركات الأمريكية، فقد تعلَّم أن **رأس المال البشري يفيده التنوع** (سيجال، سميث، سيجال وكانوسو، ٢٠١٦). هذا ينطبق بشكل خاص على العمليات الهجينة. في الواقع، يساهم التسامح المتزايد للتنوع داخل القوة في التفاهم بين الثقافات الخارجية (حجار، ٢٠١٠). القيادة بدورها مُهِمَّة في تطوير كل من التنوع الداخلي والكفاءة بين الثقافات.

في كثير من الأحيان تم حجز الدور العسكري لأفراد فئة سكانية سائدة. ففي الولايات المتحدة على سبيل المثال، كان ثمة قيود على ما إذا كان يمكن للأميركيين الأفارقة أن يخدموا، وفي أي الوحدات التي يمكنهم خدمتها، وما هي المهن العسكرية التي يمكنهم الدخول إليها، وما هي الرتب العسكرية التي يمكنهم الوصول إليها. أصبح الجيش الأمريكي أول مؤسسة اجتماعية كبرى تدمج عنصريًا (Moskos & Butler، ١٩٩٦)، لكن ذلك لم يتحقق من الناحية التنظيمية حتى الخمسينيات، واستمرت التوترات العرقية خلال فترة حرب فيتنام. ربما أدى القبول المتزايد للتنوع داخل القوة إلى زيادة الحساسية الثقافية في فييتنام.

تاريخياً، تم تحديد السكان العسكريين في معظم الدول من حيث الجنس: لقد تم اعتبار الخدمة العسكرية حكراً على الرجال. شهدت الدول الغربية الاندماج التدريجي للمرأة في القوات المسلحة. ومع ذلك، شاركت النساء منذ فترة طويلة في عمليات عسكرية غير تقليدية، مثل ما حدث في الثورة الأمريكية والحرب الأهلية، وفي المقاومة وفي مكتب الخدمات الاستراتيجية في الحرب العالمية الثانية، وفي الفييت كونغ، ومؤخراً كفدائيات جهاديّات ومقاتلات. في الولايات المتحدة، كان دمج الجنسين عملية مستمرة، انعكست مؤخرًا من خلال فتح وظائف القتال البري والوحدات – التي كانت مغلقة سابقاً – أمام النساء (سيجال، سيجال آند ريد، ٢٠١٦).

تأثرت عملية الدمج الاجتماعي في البداية جزئياً بزيادة مشاركة المرأة في النهاية السفلى من العمليات العسكرية. وفي أعقاب حرب فيتنام، شاركت الولايات المتحدة بشكل متزايد في مهمات إنسانية ومهمات لحفظ السلام، وأظهرت النساء كفاءتهن وقدراتهن في هذه المهام (Sandhoff & Segal، ٢٠١٣). وقد تأثَّرت التغييرات الأحدث في مواقع المرأة في ساحة المعركة وطيف العمليات العسكرية بالإسهامات المفيدة التي قدّمتها النساء العسكريّات المشتركات بالوحدات القتالية للذكور في العراق وأفغانستان. في هذه الصراعات، لا يوجد تمييز واضح بين المناطق الأمامية والخلفية في ساحة المعركة. تتعرض النساء في وظائف الدعم بشكل روتيني للمخاطر.

ربما الأهم من ذلك، أن المهمة التي تتطلب "كسب قلوب وعقول" السكان المحليين تتطلب (مراعاة) حساسية ثقافية فيما يخص معايير الجنس وتتطلب أن تكون النساء الجنديات متاحات للتفاعل مع (وفي بعض الأحيان البحث) عن النساء المحليات. واستلزم هذا الأمر خروج المرأة العسكرية في مهام مع وحدات قتالية. على الرغم من أن السياسة حظرت "تكليف" النساء بوحدات قتالية، إلا أن ضروريات الأوضاع أسفرت عن "إلحاق النساء" بوحدات قتالية. كما أدت إعادة تقييم السياسة في ضوء الواقع إلى الاعتراف بالوظيفة الأساسية للمرأة في هذه الحالة، وإنشاء وظائف جديدة بشكل رسمي. ومن بين هذه الفرق فرق مشاركة الإناث في الجيش وفيلق مشاة البحرية الذي رافق الوحدات القتالية في أفغانستان وعمل مع نساء محليات، وكان بمثابة مصدر مهم للمعلومات حول السكان المحليين، والمساهمة في تقديم الخدمات الطبية والاجتماعية لهم.

هناك مناقشات مستمرة حول التنوع في القوات العسكرية. خلال القرن الحادي والعشرين، أجرت بريطانيا نقاشًا حول تمثيل الأقليات في جيشها، وكما طرح Dandeker & Mason (٢٠٠١)، فالأمر يتطلب إعادة تقييم لما يعنيه أن تكون بريطانيّاً. على وجه الخصوص، في ضوء العمليات المعاصرة في الشرق الأوسط، كان هناك قلق بشأن دور المسلمين في الجيش البريطاني (وير، ٢٠١٣).

وكان هناك قلق مماثل في الولايات المتحدة الأمريكية، حيث أدّت أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ الى تنشيط صور نمطيّة لدى السكان الأمريكيين الذين اعتبروا المسلمين مختلفين عن الجماعات

الأخرى (Sandhoff، ٢٠١٣). من الصعب معرفة عدد المسلمين في القوات المسلحة الأمريكية: تتراوح التقديرات بين ٣٠٠٠ و ١٥٠٠٠، ويُذكَر على الدوام الرقم ٥٠٠٠ ويُستَشهَد به. أولئك الذين يخدمون؛ مندمجون بالكامل في القوة وانتشروا في كل من العراق وأفغانستان. ينظر بعض الموظفين المسلمين إلى رُهاب الإسلام المتزايد في الولايات المتحدة (Gibbons–Neff، ٢٠١٥)، والذي انعكس جزئياً على بعض الخطاب الصادر من حملتنا الانتخابية الرئاسية لعام ٢٠١٦: شعور تعززه محاولة الإدارة الجديدة لحظر الناس من بعض الدول الإسلامية من دخول الولايات المتحدة. على النقيض من ذلك، أشار بحث ساندهوف (٢٠١٣)، استنادًا إلى مقابلات مع أفراد مسلمين، إلى أنه على الرغم من أنهم رأوا أن التعريف المجتمعي للمسلمين على أنه "الآخر" ينعكس في الجيش أيضًا، فإن تجاربهم كجنود كانت إيجابية بشكل عام، مع بعض الاختلاف القائم على درجة دعم قادتهم لهم.

يجب أن يكون رأس المال الاجتماعي الذي يجب أن يساهم به الجنود المسلمون في العمليات العسكرية في الشرق الأوسط واضحًا. ومع ذلك، على الرغم من وجود نقص معترف به منذ فترة طويلة في اللغويين العرب في القوات المسلحة الأمريكية وفي الوكالات الفيدرالية الأخرى (فرانك، ٢٠٠٩)، كان معهد الدفاع والجيش ينفيان العشرات من الطلاب والمتحدِّثين بلغات الشرق الأوسط بسبب انتهاكهم المزعوم لسياسة "لا تسأل لا تقل" لوزارة الدفاع عن التوجه الجنسي: وهي سياسة تم إلغاؤها بعد عقد من بدء الحرب العالمية على الإرهاب، مع عدم وجود تأثير سلبي على الفعالية العسكرية (Belkin et al.، ٢٠١٣). وقد قوبل رُهاب المثلية بالحاجة إلى الموارد الثقافية واللغوية ومقاومة التنوع مما حمل تكاليف باهظة.

التنظيم:

إن نموذج معظم القوات المسلحة الحديثة – وفي الواقع معظم التنظيمات الحديثة – هو الجيش البروسي في القرن التاسع عشر، الذي وصفه عالم الاجتماع ماكس فيبر[١٦] (١٩٤٧) واعتمدته على نطاق واسع تنظيمات القرن العشرين. وهكذا، فإن الجيوش الحديثة تميل إلى التشابه. ترتاح

[١٦] **ماكسيميليان كارل إيميل فيبر** (١٨٦٤-١٩٢٠)، باحث اجتماعي ألماني وفيلسوف وسياسي واقتصادي. وواحد من أهم المنظّرين في تطوير المجتمعات الغربية الحديثة. وأثّرت أفكاره بشدة على النظرية الاجتماعية والبحث الاجتماعي.

المنظّمات أكثر في التعامل مع المنظمات الأخرى التي تشابهها في التنظيم، حتى عندما يعني "التعامل" شن الحرب. ترتاح الجيوش البيروقراطية أكثر عندما يكون حلفاؤهم وخصومهم بيروقراطيين. وخلال الحرب الباردة، افترضت خطط الحرب للقوات البيروقراطية في كل من دول حلف الناتو وحلف وارسو أن قوات الجانب الآخر كانت أيضًا بيروقراطية، الأمر الذي جعل عقيدتهم وتنظيمهم مفهومَين. كان العنصر الرئيسي في الحرب البرية هي الفرقة، وعلى الرغم من تباين تشكيلات الفرق بين الأمم، إلا أن الشكل الأساسي كان متطابقاً. ويمكن أن يُعزى نجاح القوات الأمريكية في حرب الخليج الأولى إلى حد كبير إلى حقيقة أن العراق – كدولة تعتمد الطراز السوفياتي – خاض الحرب على أساس العقيدة والتنظيم والمعدات السوفيتية. وكانت الولايات المتحدة وحلفاؤها يخوضون معارك الحرب الباردة التي تدرّبوا عليها.

لقد أثبتت دروس القرن الحادي والعشرين أن هذا لا ينجح في طيف العمليات العسكرية المعاصرة. ففرق المشاة والمدرّعات الكبيرة ليست فعالة ضد خصوم من الإرهابيين أو العصابات. الحروب الصغيرة عبارة عن حروب الوحدات الصغيرة إلى حد كبير، حيث قد يكون كبار القادة على الأرض هم من ذوي الرتبة المنخفضة للغاية، ولكن يجب أن يكونوا مستعدِّين لاتخاذ القرارات التي لها آثار فعلية على الحياة والموت. العنصر الأساسي للمناورة القتالية البرية في الجيش الأمريكي اليوم هو فريق اللواء القتالي (BCT)، الذي يحتوي على العناصر التي يحتاجها للحرب. أصبحت الفرقة إلى حد كبير من الآثار التاريخية الإدارية. وقد تعلَّمت هذه الوحدات العمل ضد الخصوم الذين يتم تنظيمهم كشبكات اجتماعية قائمة على العلاقات الأُسَريَّة أو القبليَّة أو الإقليمية أو الدينية، بدلاً من البيروقراطيات (Reed & Segal، ٢٠٠٦). في الواقع، تضمَّن دليلنا الميداني لمكافحة التمرد ملحقاً عن تنظيم الشبكات الاجتماعية. إن قوات العمليات الخاصة – مثل الرينجرز والسيلز – والتي برزت خلال حرب فيتنام بعدد قليل نسبيًا كأصحاب القلنسوات (القبعات) الخضراء أثبتت فعاليتها في الوحدات الصغيرة، حيث قال وزير الدفاع السابق رامسفيلد إنه يريد للمزيد من الجيش أن يكونوا مثل قوات العمليات الخاصة، على الرغم من أنه لم يعجبه مظهرها غير التقليدي.

الاستنتاجات

هناك بعض النقاط الأساسية التي أود التأكيد عليها في الختام. الحروب التي تنطوي على نقاط متعددة في طيف العمليات العسكرية ليست بالأمر الجديد. ما تغير هو المفردات التي نستخدمها لمناقشتها.

إذا ركزنا فقط على العمليات العسكرية التقليدية في الماضي، فإننا نفقد الدروس التي كان يجب علينا تعلمها في النهاية السفلى من طيف العمليات. وهذا سيكلفنا الكثير.

يجب أن تكون القوات العسكرية الحديثة جاهزة للعمل في جميع أطياف العمليات العسكرية. مع انتقالنا من الضيّق إلى الواسع من التحديات للأفراد العسكريين، فإن رأس المال البشري الذي نكسبه من التنوع يعزز الفعالية والأداء العسكريين. كما يزيد تنوع الأفراد العسكريين من الحساسية الثقافية المهمة في العمليات الهجينة. إن التفكير في الخصوم غير النظاميين بطريقة النماذج البيروقراطية للتنظيم أمر يأتي بنتائج عكسية. يجب علينا بدلاً من ذلك التفكير فيما يتعلق بالشبكات الاجتماعية، التي تشكل اللبِنَات الأساسية في كل نقطة في طيف العمليات العسكرية.

الحرب الهجينة والثقافة

افضل أشرف *

"الحرب الهجينة" هي أحدث تسمية أو مفهوم لتأطير التغييرات الدراماتيكية الظاهرة في الحرب والصراع. بدأت المملكة المتحدة تتحدث عن مقاربة شاملة للحرب قبل حوالي عقد من الزمان، ويعود ذلك إلى حد كبير لإدراكها أن الحرب تحتاج إلى التزام وموارد الحكومة بأكملها بدلاً من الجيش فقط. تحتاج وزارات الخارجية إلى توفير قدرة دبلوماسية تمكِّنُها من تقييم الاتفاقات المُلزِمَة والتأثير عليها والتفاوض بشأنها وإصدارها في ساحات حربية شديدة الخطورة مثل العراق وأفغانستان. فيما تحتاج وزارات العدل لتوفير مستشارين في مجال سيادة القانون، وتوفير مدرِّبين

لقوات الشرطة. هناك حاجة إلى الاقتصاديين والصناعيين والمصرفيين والتربويين وغيرهم للمساعدة في نقل البلد من الصراع إلى السلم. والآن يدور الحديث عن حرب هجينة، والتي تحتاج إلى كل هذه الأشياء وأكثر لمنع الصراع وإدارته وحلّه.

الثقافة

الحرب الهجينة هي مفهوم جديد ومعقَّد وضعيف التعريف. الثقافة مفهوم قديم ولكنه مانع أيضا، مما جعله أكثر تعقيدًا بسبب مظاهره العديدة، سواء في المجالات الاجتماعية أو التجارية أو السياسية أو العسكرية وغيرها من مجالات الوجود الإنساني. لأغراض هذا البحث، سيتم النظر في الجوانب السياسية والعسكرية المتعلِّقة بالثقافة. **الفرضية التي سنعتمدها هي أن الأفراد والمنظمات يفهمون الأشياء من خلال منظورهم الثقافي. بمعنى آخر، طريقة العقل اللاواعي التي ترى بها الحكومات والجيوش والناس والعالم، لا سيما التهديدات الأمنية والفرص السياسية.**

ثلاثة لاعبين في لعبة الحرب الهجينة

وسيتم تقييم المقاربات الثقافية للحرب الهجينة بين القوى الجيوسياسية الثلاثة المعاصِرَة. وهي:

- الغرب، والذي تم تحديده بشكل مختلف على أنه الناتو والولايات المتحدة الأمريكية... إلخ

- الروس، بما في ذلك الصين وإيران بدرجة أقل

- الجهات الفاعلة غير الحكومية، وأهمها تنظيم الدولة والقاعدة، لكن يمكن أن تشمل جماعات بدرجة أقل مثل طالبان.

ثلاث ميزات للحرب الهجينة

المدنيون من الممارسة السلبية للعنف إلى التفاعل النشط:

منذ حوالي مائة عام، بدأت الجيوش باستهداف السكان المدنيين مباشرة. إن نموذج التدمير الإرهابي في غرنيكا على يد النازيين خلال الحرب الأهلية الإسبانية في ثلاثينيات القرن العشرين، والقصف الجوي للمدن الألمانية على يد القوات الجوية البريطانية والأمريكية بهدف كسر إرادة الشعب الألماني والهجمات النووية على المدن اليابانية من قبل الولايات المتحدة الأمريكية لغرض تعجيل نهاية الحرب في المحيط الهادئ تمثِّل بعض الأمثلة على عدم وضوح العمليات السياسية والعسكرية.

في حين أن الاستهداف المتعمَّد للمدنيين من جانب الدول قد توقَّف تقريباً، فإن الخسائر في صفوف المدنيين تتزايد إما بسبب تجاهل قاسٍ أثناء الاستهداف أو بسبب أخطاء منهجية ومتكررة أثناء العمليات. إن انتشار الإرهاب الدولي، الذي يعتقد الكثيرون أنه ناجم جزئياً عن السياسة الخارجية الغربية، هو سبب متزايد آخر للصراع.

لم يعد المدنيون يمتصون المعاناة بشكل سلبي أو ينزحون إلى أقرب بلد آمن فحسب، إنهم يعلمون مثل اللاجئين الفلسطينيين أنه نادراً ما يتم حل نزاعات الأجيال. إنهم يتنازلون عن حياتهم السابقة ويتدفَّقون على الغرب لمنح أنفسهم وأطفالهم مستقبلًا؛ مستقبل لا يمكنهم القتال في سبيله لكنهم مستعدون للموت في سبيله.

لم تعد المعاناة المدنية نتيجة ثانوية مؤسفة للحرب. فالتدفق الهائل للاجئين يشكِّل تهديداً سياسياً كبيراً، وكما يقول البعض يشكل تهديداً أمنيَّاً في حد ذاته لأوروبا. أصبحت حدود مسرح الحرب أكثر مطاطية من حيث المكان والزمان والنتيجة.

الصراع غير المتماثل – عندما يتم تمكين الجهات الفاعلة غير الحكومية

عنصر آخر من الحرب الهجينة هو بروز الصراع غير المتماثل. إن التقنية والتمكين الممنوحين لبعض المجموعات التي تتبنى أيديولوجية عالمية من قبل القوى العظمى خلال الحرب الباردة، تعني أنها تحوّلت من نشاط هامشي وداعم إلى وسيلة بارزة – وأحياناً ذات أولويَّة – للصراع.

من الأمور الأساسية في الوضع الحالي هي ممارسة تسليح الجهات الفاعلة من الحكومية كوكلاء (عملاء). كانت هذه الممارسة العلنية والسرية إلى حد كبير لمعظم الدول، لكنها كانت جزءاً نَشِطاً بشكل خاص من ثقافة السياسة الخارجية الغربية. ربما لا يكون من المناسب مناقشة أخلاقيات هذه القضية في هذه الورقة. على أساس المصالح السياسية والوطنية الحقيقية، أصبحت ممارسة الحرب بالوكالة مع الجهات الفاعلة غير الحكومية فكرة قديمة. إنه مقبول وبقدر عملي كعنصر من عناصر السياسة الخارجية اليوم وكذلك ممارسة الإمبريالية.

السبب لذلك بسيط؛ فقد أصبحت الحرب غير المتكافئة القائمة على الفاعلين غير الحكوميين ناجحة للغاية. توفِّر تقنيات المعلومات حتى لأفقر الناس الأسلحة والتأثير والدراية الفنية. إذا كانوا مدعومين بالأسلحة والمال من الدول، فإنهم سيصبحون قوى فعالة. الأهم من ذلك ليست أسلحتهم أو تدريباتهم، بل التحول الجذري في نظرتهم للعالم بأنهم قادرون على هزيمة القوى العظمى. نشأ هذا الاعتقاد بين المجاهدين في أفغانستان وتعززه الأسطورة المتمثلة في أن المتمردين هزموا الولايات المتحدة في العراق وأفغانستان.

هذه الزيادة في القدرات والنوايا أدت إلى زيادة في التهديد. ينشأ التهديد لأن تأثير الوكلاء وتصرفاتهم لم يعد من الممكن احتواؤه في جغرافية "منطقة عملياتهم". فتهديد الوكيل كثيراً ما يتجاوز الحدود ليصبح إقليمياً. وعندما يتم خلطها مع الأيديولوجيات الثورية مثل التطرف الإسلامي، يصبح تهديد الوكيل عالمياً، مما يؤثر على القوى الكبرى في شكل الإرهاب الداخلي واللاجئين.

عمليات التأثير

يوفر المجال السيبراني منفَذاً واسعاً ومرناً لعمليات التأثير. وهذا في الأساس شكل متقدم من الدعاية السياسية؛ وهو النشاط الذي أصبح ملتصقاً بشكلٍ وثيق مع عمليات الحرب خلال الحرب العالمية الثانية. في العالم المعاصر، أدى هذا إلى الاعتقاد بأن التلاعب بالشبكة الاجتماعية يمكن أن يؤدي إلى التعبئة من أجل التغيير السياسي. تعد نظريات أسراب الحشود والفوضى مجرد بعض الأفكار الجديدة التي ترسَّخت. إن الدعاية القائمة على مفهوم ليدل هارت المتمثِّل في بناء التوافق، قد أفسحت المجال لأفكار مثل هيمنة المعلومات.

هذه الآراء الناشئة هي في رواج خاصة بين الممارِسين الذين ينتمون إلى حد كبير لوسائل الإعلام والإعلان وصناعة الترفيه. ومع ذلك، فإن المطالبات تفتقر إلى الفحص النقدي. ما ينجح في الثقافة الإعلامية الغربية، وفي صناعتها الاستهلاكية وقطاع الترفيه فيها لا يتحوَّل بالضرورة بنجاح إلى ثقافة سياسية دفاعية وربما عدائية. تعدُّ وسائل الإعلام سوقاً مجانياً بشكل متزايد، ولذلك يصعب على أي شخص السيطرة عليه، إلا لفترات قصيرة. يختار الأشخاص الرسائل التي يؤمنون بها بنفس الطريقة التي يختارون بها الموسيقى المراد تنزيلها – استناداً إلى ثقافتهم السياسية أو الاجتماعية. السخرية من دوافع القوى الكبرى هي عنصر سائد في الثقافة السياسية في العالم النامي. ومن ثمّ، فإن عمليات التواصل الهادفة إلى التأثير لها تأثير محدود إلا عندما تُستَخدَم لتعزيز واقع سياسي أو عسكري معروف.

هذا لا يعني أن عمليات المعلومات لا فائدة منها لمجرد أنها أقل دقَّة وفعالية مما يزعمه كثيرون في مجتمع المعلومات والاتصالات الاستراتيجي المزدهر في بعض الأحيان. بالتأكيد، هناك ندرة في البيانات الموثوقة التي لا جدال فيها حول الفعالية الاستراتيجية لهذه العمليات.

إن استهداف المدنيين، وتمكين الجهات الفاعلة غير الحكومية وتسليح الفضاء الإلكتروني كلها عوامل تستخدمها القوى الكبرى بما في ذلك القوى الموجودة في الغرب. لقد حقق هؤلاء نجاحًا قصير المدى في الماضي، لكن تأثيرهم السلبي المتزايد على المدى الطويل يواجه الآن الغرب من حيث بيئة تهديد جديدة. إذا نظرنا إلى حجج السياسة الأخلاقية، فإن هذه القضايا تشكِّل تهديداً لا

يمكن للغرب احتواءها في أفضل الأحوال إلا بالقوة العسكرية. هذه القضايا ذات طبيعة سياسية في المقام الأول، وبالتالي فإن القضاء عليها يجب أن يكون بالأساس بالوسائل السياسية وغيرها.

الجيش يمكن أن يصنع الثقافة

كان الرد على هذا التهديد المتنوع هو ما تسميه بعض الجيوش الغربية "عمليات الطيف الكامل". وهذا يعني مشاركة أكبر لأدوات السلطة المدنية مثل السياسات (الوطنية والدولية) وعمليات الإنترنت وفرض التأثير. إنها تحتاج إلى قدرات مدنية إما غير موجودة أو مازالت وليدةً. وفي العديد من البلدان، يضطلع الجيش إما بمهام ينبغي أن يقوم بها المدنيون أو – على الأقل – يقود النقاش إلى الكيفية التي ينبغي أن تعمل بها أدوات السلطة المدنية والعسكرية معاً لتقديم مقاربة طيفٍ كامل. وهذا يعني أن أي طرق جديدة للعمل تتأثر إلى حد كبير بعقلية ثقافية عسكرية بدلاً من موازنتها بمدخلات مدنية قيِّمة.

الطبيعة غير الطارئة للسلطة المدنية

تتمثل إحدى العقبات التي تعترض قدرة آليات السلطة المدنية على تحقيق ما هو مطلوب في أن المنظمات الحكومية تتفاعل ثقافياً وليست استباقية. ليس لديهم مفاهيم أو قدرات للتعامل مع العديد من الحالات الطارئة في الداخل ناهيك عن الطوارئ الدفاعية في الخارج. إلا أن وزارات الخارجية والعناصر الأجنبية لأجهزة المخابرات تمثل استثناءات من هذا الأمر، ولكنها تميل إلى امتلاك قدرة محدودة على التخطيط للطوارئ وإدارة الأزمات في المواقف العدائية أو الخطيرة.

على الرغم من وجود مفهوم القوة الناعمة منذ فترة من الوقت، وكبار السياسيين يفهمون مفهوم وحدة القيادة، إلا أن هنالك عجزاً ثقافياً عن التفكير فيما يتعلق بالنزاع، والتصرف بثقة في بيئة الصراع وأخذ زمام المبادرة فيما نسميه الجوانب غير الحركية. تاريخياً، اعتاد الجيش والبحرية والقوات الجوية أن يكون لهم وزارات منفصلة في الحكومة، لكنهم تعلموا الأهمية الحاسمة للعمليات المشتركة. إنهم

ليسوا مشتركين على المستوى الوزاري فحسب، ولكن على مستوى القيادة التنفيذية أيضاً. وتبقى الوزارات المدنية التي يُحتَمَلُ أن تشارك في مقاربة الطيف الكاملة متمايزة. كما أثبتت العلاقات بين وزارة الدفاع ووزارة الخارجية خلال المراحل الأولى من حملة العراق، فإنهم يجدون في بعض الأحيان صعوبة في العمل معاً بشكل بنّاء.

لقد حاول الروس معالجة هذه المشكلة من خلال مركز قيادة موحدة في موسكو وتشير التقارير إلى أن هذا النظام يعمل بشكل جيد. يسمح وجود سلطة مركزية لصنع القرار باتباع مقاربة أكثر مرونة تجاه المواقف سريعة التطور. كما أنه يتيح للمبادرات المتغيّرة باستمرار لإجبار الخصم على وضع رد الفعل من خلال ازعاج حلقة OODA[١٧] للخصم (الملاحظة، واتخاذ القرار، والعمل).

إن تنظيم الدولة وغيره من المنظمات الإرهابية هي في الأساس هياكل مركزية، وإن كانت في كثير من الأحيان تنتظم في هياكل من خلايا، وتركّز في وقت واحد على جميع جوانب وجودها. هذا الهيكل يشجِّع ثقافة المبادرة ويحقق خفة الحركة، والتي ينسب إليها بعض نجاحاتهم.

يجب على الجيوش المبادِرَة الى تطوير قدرات الحرب الهجينة في بلدانها، النظر ملياً في تحمل المسؤولية عن مهام القوة الناعمة الإضافية. بدلاً من ذلك، سوف يركزون بشكل أفضل على زيادة قدراتها في إجراء المزيد من عمليات القوة الصلبة. ومع ذلك، يمكن أن يساعدوا السلطة المدنية في فهم مسؤوليتها الكبرى عن المشاركة في "الحرب الهجينة". وهذا يتطلب بذل جهد مدروس لتغيير ثقافة الجيش الحالية من ثقافة "يمكن أن تفعل كذا" إلى وضع "يجب عليك أيضاً أن تفعل كذا" تجاه عناصر القوة المدنية المسؤولة عن تقديم حرب هجينة.

نصنع السلام والبعض الآخر يصنع الحرب

يجسِّد مصطلح "الحرب الهجينة" ثقافة الطرف الذي يستخدمه. فهو يشير إلى وجود صراع ومقاربة الطيف الهجين أو الكامل يوفِّر وسيلة لكسب هذا الصراع. إن المصطلح والثقافة العقائدية المرتبطة

[١٧] **OODA** (orient,observe, decide and act)

به له مفاهيم قليلة نسبياً – إن وُجِدَت أصلاً – وتهدف إلى منع النزاعات وردعها ونزع فتيلها، باستثناء وجود القدرة الهجينة نفسها. في الواقع، يتطلب التأثير والمكونات الاقتصادية للحرب الهجينة وجود حالة من الفعالية المستمرة تقريباً، ومن ثم خلق تصوُّر للمنافسة الدائمة التي تمتد إلى صراع افتراضي. في محاولة للتعامل مع شكل جديد من أشكال الحرب، فإن مقاربة الحرب الهجينة يقدِّم في الواقع شكلاً جديداً من أشكال الصراع البارد.

يشير تقييم تحليل التهديد الروسي الحالي إلى أنه ينظر إلى دول الغرب على أنهم مُنشِئِي الحرب الهجينة ومُمارِسِيها. يعتقد موظفو الدفاع والمحللون الروس أن الحرب الهجينة هي طريقة تم تطويرها لتهديد القوة السياسية الروسية وإضعافها مع مرور الوقت. إنهم ينظرون إلى العديد من النزاعات الحالية على أنها "صراعات بالوكالة" يشنُّها الغرب "في جوار روسيا القريب من أجل زعزعة استقرار محيطها". وبالتالي، أنشأت روسيا هيكل قيادة موحد للدفاع وتأسيس قيادة في الحرب الهجينة. والنتيجة هي سباق تسلح افتراضي في القدرة الهجينة.

لقد أشارت أغلب دعايات التمرد الإسلامي الجهادي منذ فترة طويلة على استخدام الغرب للهيمنة الثقافية كعنصر من عناصر هيمنته السياسية والعسكرية. إنهم يشيرون إلى الأنظمة الإسلامية غير الفعّالة والفاسدة والقمعية الموالية للغرب كدليل على نجاحها. تسلط الدعاية الفعالة الضوء على الفوضى الاجتماعية والصراع الاقتصادي وآلاف القتلى المدنيين لإعادة تعريف دوافع الغرب للتدخل في البلدان الإسلامية. أحد أهم المكونات هو اقتباس آية قرآنية وثيقة الصلة:

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ *أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ البقرة: ١١، ١٢

من وجهة النظر الغربية، فهذه هي حروب التحرير كما تم التعبير عنها في عنوان كتاب جين شارب، "من الديكتاتورية إلى الديمقراطية: إطار تصوري للتحرر".

ثقافياً، نعتقد أننا قوة من أجل الخير، لكن خصومنا يرون أن هذه الأعمال تهديد حقيقي. ومن ثم هناك خلط بين الدوافع والتهديدات بين الخصوم. يمكن أن يؤدي هذا الالتباس إلى صراع، كما حدث قبل ١٠٠ عام. بعض الأسباب التي دفعت العالم إلى الانهيار في الحرب العالمية الأولى

الرهيبة كانت "أن الدبلوماسية كانت موضوعة جانباً، وأُسِيءَ تفسير التحرُّكات وأُسيءَ فهم الدوافع". خلال محاولة استيعاب الدبلوماسية والسياسة الخارجية فالحرب الهجينة لها بعض المفاهيم التي تضمن عدم إساءة فهم التحركات والدوافع من قبل الأعداء المحتملين.

وحدثت الكثير من هذه القضايا بسبب الافتقار إلى الوعي الثقافي العسكري والسياسي والوعي الذاتي. قال صن تزو: أن الهدف النهائي هو إخضاع العدو دون قتال. والشرط الأساسي لتحقيق ذلك هو فهم العدو. سواء أكان النصر بالقتال أم لا، فمن المرجح أن يتحقق النصر من خلال فهم أنفسنا ومعرفة عدونا.

في حين أن هناك العديد من التحدِّيات التي ينطوي عليها اكتساب فهم موضوعي لأنفسنا، إلا أن مشاكل التحليل والفهم تبقى المشكلة الأبرز. عادة ما تقرر الدول مسار العمل بناءً على مصلحتها الوطنية. وبما أن المصالح الوطنية [للدول] عادة ما تكون تنافسية، فهي بطبيعتها أنانية. ومن ثم، يميل السياسيون إلى توضيح سياساتهم في الخطاب القضائي أو الأخلاقي. فمثلاً، يدّعون بأنهم يتصرفون دفاعاً عن النفس أو دفاعاً عن الضعفاء أو المضطهدين. هذا الخطاب يبرر الخيار الاستراتيجي وليس المصالح.

خذ مثال روسيا في سوريا؛ كانت مصلحتها الوطنية الحفاظ على قواعدها في سورية، فيما كان الخطاب السياسي المستخدم لتبرير تصرفاتها ضد قوات المتمردين هو محاربة الإرهابيين الذين يهددون سيادة الدول وأمنها. كان خيارهم الاستراتيجي هو دعم قوات الأسد في المقام الأول من خلال القوة الجوية.

هذا الثالوث المتمثل بالمصلحة الوطنية والخطاب السياسي والخيار الاستراتيجي أو السياسة الخارجية هي المكونات الأساسية للتحليل السياسي والعسكري. عدد قليل جداً من الناس يدركون – ناهيك عن المختصين – هذه المهارات. يُعَدُّ الحوار على أساس المصلحة بدلاً من الاختيار أو الموقف الاستراتيجي أحد المبادئ الأساسية للمفاوضات الدبلوماسية الناجحة.

ومع ذلك، تبدأ الحروب غالباً لأن الخيار الاستراتيجي للخصم أمر غير مقبول في حين أن مصلحته الوطنية يمكن استيعابها من خلال المفاوضات. **لذلك، سيتطلب النجاح في الحرب الهجينة إعطاء الأولوية للاستخبارات (المعلومات) السياسية والاستراتيجية على الاستخبارات (المعلومات) التكتيكية، وهو المكان الذي تتركز فيه الجهود تقليدياً، بحيث يمكن تحديد الحلول غير الحركية لتجنُّب الصراع المكلف من حيث الأرواح.**

الثقافة التنافسية – سباق التسلح

إن الثقافة العسكرية المتمثلة في رؤية العالم على أنه تهديد وليس فرصة سياسية، وأخلاقياته المعتادة والضرورية للتنافس والحاجة للفوز، كلها تؤدي إلى ما يمكن تسميته "سباق الأسلحة الهجينة". بينما تحاول الجيوش التكيف مع طريقة الحرب الهجينة لمواجهة التهديد المحتمل، من خلال دمج شكل جديد من الأسلحة أو القدرات أو السياسات، فإنها تخاطر باستنفاد رأس المال الاقتصادي والسياسي لدولهم. **لذلك يجدر النظر في كيفية جعل جوانب الحرب الهجينة غير مُتَقَبَّلة لدى الخصوم حتى لا تضطر الجيوش إلى الاستثمار في موارد قيِّمَة جديدة.**

الحداثة والمنظور المنهجي أو الحتمية

ربما تكون العادة الحديثة المتمثلة في رؤية العالم على أنه "نظام" هي العنصر المشترك الوحيد الذي يفصل التفكير السياسي الحداثي عن التفكير ما قبل الحداثي. نظر ماركس وإنجلز إلى المجتمع البشري من خلال منظور النظام الاقتصادي الذي يمكن تغييره لإنشاء مجتمع متساو متفوِّق. وأعطت تلك النظرة للعالم "الحتمية الاقتصادية". وتستند العقيدة العسكرية الغربية والإجراءات على مفاهيم مماثلة من الحتمية.

ينظر الروس أيضًا إلى العالم كنظام. تحليلهم للثورات الملونة في الشرق الأوسط وفي أوكرانيا وسوريا يفترض أن الثورات والفوضى التي أعقبتها تم تخطيطها وإدارتها من قبل الغرب. وهم

يعتقدون أن ثمة "منهجاً وراء الجنون"؛ وكلها أجزاء من "حزمة موحدة [والتي] تصبح الحرب الهجينة (كوريبكو، ٢٠١٥)."

من الصعب على الروس تَخيُّل أن وكالة المخابرات المركزية كانت مُحرَجَة لعدم توقُّع الربيع العربي. إذا كان للولايات المتحدة والقوى الأوروبية أي تأثير على الأحداث اللاحقة، لكان ذلك عن طريق التلاعب بالأحداث والحركات والأفراد الرئيسيين بعد بدء الفوضى، وليس قبل ذلك. ومما لا يثير الدهشة أن الغرب فشل في تحقيق أي نتيجة يمكن وصفها بأنها مناسبة له.

العقيدة العسكرية ومعايير العمل الداخلي والتفكير المنهجي

صرح الجنرال الروسي جيراسيموف بأن كل حرب مختلفة، لكن المقاربة الثقافية الغربية المنهجية للحرب لم تتكيف بشكل جيد مع السياقات الناشئة. وأدى هذا للعديد من حالات الفشل في النزاعات الأخيرة. كان أحد الأمثلة على ذلك هو المجال الأساسي لاستراتيجية مكافحة التمرد في العراق، وهي دق إسفين بين المتمردين والسكان. **وشكَّل هذا المفهوم العقائدي استراتيجية مكافحة التمرد في العراق حتى أصبح من الواضح أن قتال التحالف كان في الواقع يدفع المتمردين إلى الاقتراب من السكان.**

يجب التفكير في هذه الأمثلة وغيرها من الأمثلة التي توضِّح الإخفاقات العسكرية الأخيرة لفهم المقاربة المنهجية للتفكير العسكري الغربي قبل أن تتمكن من التكيف مع طريقة جديدة للحرب. سوف يتعين على الجنرالات العسكريين أن يصبحوا مفكِّرين، ويطوروا عقيدة مخصصة لكل صراع فريد، على أساس مبادئ ثابتة مثل تحديد هدف واحد والمحافظة عليه.

الاستنتاجات

الحرب الهجينة لا يمكن استيعابها إذا نظرنا إليها من خلال الثقافة العسكرية [فقط]. بل يجب فهمها من خلال مقاربة أوسع تتضمن مقاربات اجتماعية وحضارية. **إذا سمح للحرب الهجينة بالتطوُّر**

حتى يُستَهلَك الطيف الكامل لقدرات الدولة، فقد تصبح مثل الحرب النووية، بحيث تهدد جميع عناصر المجتمع من جميع الجوانب.

ميزة واحدة اليوم هي أن جميع الدول الكبرى (الولايات المتحدة الأمريكية وروسيا) تُدرِكُ أن تكلفة الحرب مرتفعة للغاية على مجتمعاتها. وهذا يوفِّر فرصة كبيرة لمنع الصراع. **إن أهم طريقة لمنع الصراع هي تجنب جعل الآخرين يشعرون بالتهديد، خاصةً عندما يكون هذا التهديد في الواقع غير موجود.** للقيام بذلك، يجب فهم الثقافة السياسية والعسكرية – النظرة العالمية – لخصوم محتملين آخرين. إذا شعر الغرب بالتهديد من مفاهيم التوسُّع الروسي، فمن المنطقي تجنُّب جعل الروس يشعرون بالشيء نفسه.

إن العنصر الأكثر خطورة في الحرب الهجينة هو تمكين الجهات الفاعلة غير الحكومية كوكلاء للقوى العظمى. فهي توفر ميزة مؤقَّتةً فقط. فقد أصبحوا في هذا العالم الصغير يشكِّلون تهديدًا على المدى المتوسط والطويل.

لن تكون الحرب الهجينة فعالة إلا إذا قللت من فرص الصراع الحركي من خلال استخدام كامل إمكانات الدولة. إن خطر "سباق التسلح" في الحرب الهجينة حقيقي ويمكن أن يضعف الدول المعنيَّة. سيكون أكبر استثمار في القدرة الهجينة الإيجابية هو تطوير فهم ثقافي للمصلحة الوطنية للخصوم المحتملين وإيجاد طرق لاستيعاب هؤلاء دون إضعاف موقع الدولة الاستراتيجي.

التحدي والدعوة للحد من الحرب الهجينة ليس دعوة لوضع حد لكل أنواع الحروب. ستكون هناك حاجة دائماً للمحاربين الشجعان والقادرين لضمان السلام بين الدول وداخلها. ومع ذلك، يجب قبول أنه إذا كان من الصعب إجراء عمليات ضمن قوانين الحرب للدول، فمن المستحيل تقريباً التحكُّم في سلوك الجهات الفاعلة غير الحكومية. إنهم بحاجة إلى أن يُقاتَلوا ويُضعَفَوا من خلال إظهار فشلهم.

يجب تحدي فعالية عمليات التأثير، مع تذكُّر أنه لا يوجد شيء أكثر تأثيرا من الأعمال والواقع. إن تقديم عمل حاسم أو نصر هنا هو أمر سيظل دائماً أكثر تأثيراً في تشكيل الواقع أكثر من أي رسالة. يجب تجنُّب الحرب التقليدية، ولكن إذا تم شَنُّها فمن الضروري أن يكون هناك شكٌّ حول من

فاز ومن خسر. في حين أن الثقافة السياسية تزدهر بسبب الغموض، يجب ألا تسمح الثقافة العسكرية بالغموض في نتائجه. الفشل العسكري يولّد التهديدات، والنصر بمثابة ردع قوي.

القيادة والسيطرة

ياووز توركجنكي , هانكاري سايات

تعريف القيادة والسيطرة

التعريف الأساسي للقيادة والسيطرة كالتالي: فالقيادة هي السلطة التي يمارسها القائد على المرؤوسين بحكم الرتبة أو المهمة. إنه فن أكثر من كونه علما. وبناء على خبرة القادة والخلفية والتعليم؛ كل قائد لديه نمط مختلف من القيادة. باختصار، فن القيادة هو ممارسة السلطة من خلال اتخاذ القرار والإدارة (JP 3-0، ٢٠١١).

من ناحية أخرى، فإن السيطرة تُطَبِّقُ العلم أكثر من الفن. وتعتمد على الحقائق والطرق التجريبية والتحليل. ويشمل علم السيطرة الأنظمة والإجراءات التفصيلية لتحسين فهم القائد وتقييمه وتخطيطه وتنفيذه للمهام (JP 3-0، ٢٠١١).

نظام القيادة والسيطرة معاً هو ترتيب الأفراد وإدارة المعلومات (المنظَّمة) والإجراءات والمعدَّات والمرَافِق من أجل مراقبة العمليات وتخطيطها وتقييمها وتنفيذهِا[١٨].

يمكن شرح نظرية القيادة والسيطرة بنموذج بسيط من عملية القيادة والسيطرة المعروفة باسم حلقة OODA. تشير عبارات حلقة OODA إلى دورة "الملاحظة، والتوجيه، والقرار، والتصرُّف" التي

[١٨] observe, orient, decide, and act: OODA

طوَّرَها الخبير الاستراتيجي العسكري والعقيد في القوات الجوية الأمريكية جون بويد (ريتشاردز، ٢٠١٢).

الشخص الذي يمكنه إدارة الدورة بشكل أسرع من الخصم يمكنه "الدخول" إلى دورة قرار الخصم وتعطيلها لكسب التفوق الظرفي. وتحتوي الحلقة على أربع مراحل:

الملاحظة:

تكون الملاحظة بشكل أساسي بمسح البيئة وجمع المعلومات من أكبر عدد ممكن من المصادر. تتمثل بعض التحديات الرئيسية للملاحظة الفعَّالة في معرفة المعلومات التي يجب مراقبتها وكيفية ترشيحها من أجل إيصال المعلومات ذات الصلة إلى عملية صنع القرار والتخطيط.

التوجيه:

في التوجيه، نستخدم المعلومات لإنتاج صورة عن الموقف. أي، نقوم بتحويل البيانات إلى معلومات، مثل الصورة العملياتية المشتركة Common Operation Picture. بينما نتلقى المزيد من المعلومات، نقوم "بمسح" صورة قديمة ثم "إنشاء" صورة جديدة مرة أخرى. بالإضافة إلى ذلك، يساعد التوجيه في تحويل المعلومات إلى معرفة. المعرفة هي العنصر الرئيسي لاتخاذ القرارات الجيدة والتخطيط. ومن الناحية النظرية، يتم تحديد خمسة عناصر رئيسية تؤثِّر على اتجاهنا. هؤلاء هم:

- التقاليد الثقافية
- الوراثة الجينية
- القدرة على التحليل والتوليف (التركيب)
- مستوى الخبرة السابقة
- معلومات جديدة قادمة.

التوجيه هو الجزء الأكثر أهمية في حلقة OODA لأنه يشكل الطريقة التي نلاحظها، والطريقة التي نقررها، والطريقة التي نتصرف بها.

من أجل الفوز، يجب أن نعمل بسرعة أكبر أو بإيقاع أسرع من خصومنا، وأن ندخل داخل حلقة الخصم. من خلال خلق حالة متغيّرَة باستمرار، فإننا نُجبِرُ خصومنا على التعامل مع المعلومات القديمة، ونكافح لتحديث معلوماتنا. وبالتالي فإننا نحرم خصومنا الوقت اللازم لاتخاذ قرارهم. مثل هذا النشاط سيجعلنا غامضين بأعينهم (لا يمكن التنبؤ بنا) وبالتالي يتولَّد الارتباك والاضطراب بين أعدائنا. لن يتمكن الخصوم من إنشاء صور ذات صلة بالمشكلة المتغيرة باستمرار التي يواجهوها. بالإضافة إلى ذلك، لن يجدوا ما يكفي من الوقت لتكييف إيقاع المعركة أو الإجراءات التي يصارعوها. ومع الخداع فإن الوضع سوف يزداد سوءًا بالنسبة للخصم.

اتخاذ القرار:

في الخطوة الثالثة، ندرس الخيارات ونختار مسار العمل. الهدف هو اتخاذ خيارات أفضل وأسرع من خصمك. القدرة على التنبؤ بالمستقبل يمكن أن تُحدِث فرقاً بين النجاح والفشل. **الوقت والشكُّ معياران مهمان سيؤثِّران على عملية اتخاذ القرار.**

العمل:

في الخطوة الأخيرة، يتم تنفيذ القرار. وبمجرد رؤية نتيجة الإجراء، تبدأ من جديد. نصدر عادة أنواعاً مختلفة من الأوامر لتنفيذ القرار. يجب أن تفهم وحداتنا الطلبات بسهولة وتنفذها دون أي مشكلة. بعد هذه المرحلة من الحلقة ستبدأ من جديد وسوف نراقب نتائج أعمالنا وأدائنا. إذا كان علينا تحويل حلقة OODA إلى عملية القيادة والسيطرة؛ ستتمثل المهام الرئيسية لهذه العملية في المراقبة والتقييم والتخطيط والتنفيذ. وغنيٌ عن القول إن مرحلة التقييم ستكون العنصر الرئيسي في هذه العملية كمرحلة توجيه داخل حلقة OODA.

التحديات الرئيسية للحرب الهجينة من جانب القيادة والسيطرة:

الغموض:

إنها حقيقة لا يمكن إنكارها أن السمة الرئيسية للحرب الهجينة هي الغموض. عندما ننظر إلى الأزمة الأوكرانية، لم يتمكن المجتمع الدولي والأوكراني من فهم ما كان يحدث قبل ذلك وحتى في المراحل الأولى من الأزمة في أوكرانيا. لقد رأينا بعض الرجال الخضر، ونعلم أنهم كانوا جنوداً روسي، لكن هذا أدى إلى تردد في أذهان صناع القرار. ساعد عدم يقين الجيش الروسي على شراء الوقت لإنجاز مهمته. عندما يفهم صناع القرار تماماً الصورة الكاملة، فقد تأخر ذلك.

منع الروس الأوكرانيين والمجتمع الدولي من توجيه أنفسهم وإنتاج صورة ذات مغزى للوضع الحالي. نتيجة لذلك، تأخر اتخاذ القرار، وهذا ما أنجح الروس في الدخول في دورة قرار المجتمع الدولي الأوكراني (Bĕrzinš، ٢٠١٤).

الخداع:

الروس لديهم خبرة مهمة في الخداع. في الواقع، قاموا بتطوير مفهوم "الحرب المقنَّعة" (maskirovka) واستخدموا الخداع بنجاح في التاريخ (The Military Balance، ٢٠١٥). على سبيل المثال، بدأ الغزو السوفيتي في أفغانستان في عام ١٩٧٩ بقيام ٧٠٠ جندي سوفياتي يرتدون الزي العسكري الأفغاني بالاستيلاء على المباني العسكرية والإدارية الرئيسية في كابول. إنهم يقبلون الخداع كجزء لا يتجزأ من أي حرب. أثناء أزمة أوكرانيا، وبالتنسيق مع المجال العسكري، قاموا أيضاً بالخداع في مجالات أخرى مثل المجالات السياسية والاجتماعية. بالإضافة إلى الغموض والخداع وإنكار العمليات، ساعد الروس أيضًا على منع توجيه الأوكرانيين والمجتمع الدولي لنفسه.

طرق / وسائل مختلفة:

نحن جميعا نقبل أن الحرب الهجينة ليست جديدة. لكن الطرق / الوسائل جديدة، مثل الهجمات الإلكترونية. لذلك سيكون من الخطأ الاعتقاد بأن الحرب الهجينة ستستَخدِم نفس الطرق القياسية للتنفيذ (Thiele، ٢٠١٥). بالإضافة إلى ذلك، قد نرى نسخاً مختلفةً من تنفيذ الحرب الهجينة. في هذا الصدد، رأينا تطبيقات مختلفة من الحرب الهجينة في سوريا ولبنان والعراق.

المقاربة المشتركة بين الوكالات:

العسكرة ليست هي الطريقة الوحيدة لتنفيذ الحرب الهجينة. في الواقع، بالإضافة إلى العسكرة؛ تُعَدّ الأبعاد الدبلوماسية / السياسية والإعلامية والاقتصادية والمالية (DIMEFIL)[١٩]مهمة جداً أيضاً وهي تعني "الدبلوماسية, المعلوماتية, العسكرة, الاقتصاد, المال, الاستخبارات, انفاذ القانون". باختصار، يجب أن نستفيد من إجراء العمليات بأبعاد DIMEFIL ونحتاج إلى تغيير تصوُّراتِنا. هذا سوف يتطلَّب مشاركة وِكالات مختلفة (Gressel، ٢٠١٥).

الجهات الفاعلة من غير الدول:

في عصر العولمة، نشهد أنه بالإضافة إلى الدول، أصبحت الجهات الفاعلة غير الحكومية أكثر فاعلية (Běrzinš، ٢٠١٤). تَستَخدِمُ الجهات غير الحكومية أيضاً تكتيكات الحرب الهجينة مع بعض التعديلات، مثل حزب إيران اللبناني وتنظيم الدولة. قد يؤثر هذا أيضاً على عملية القيادة والسيطرة الخاصة بنا. ومع ذلك، تختلف أساليب وتقنيات الجهات الفاعلة غير الحكومية عن تلك المستخدمة في أوكرانيا (Thiele، ٢٠١٥، pp.5–9).

تكتيكات متعددة:

عادة ما تقوم القوات التقليدية والقوات الخاصة والجماعات الإجرامية بعمليات في نفس الوقت أو وفقاً لجدول زمني محدد. يستخدم كل منهم أساليب وتقنيات مختلفة ولن تكون تطبيقاتهم متسلسلة. علاوة على ذلك، سنرى النتائج في مستويات القيادة والسيطرة المختلفة، من المستوى السياسي إلى المستوى التكتيكي (Hunter & Pernik، ٢٠١٥). يجب ألا يُفاجأ المرء برؤية ذلك بدلاً من القوة التقليدية؛ القوات الخاصة / الجماعات الإجرامية هي من تقود العمليات الحاسمة.

التحديات مع تصميم هيكل القيادة:

تتضمن العمليات التقليدية أربعة مستويات من القيادة، وهي مستويات القيادة السياسية والاستراتيجية والعملياتية والتكتيكية. في حين يُحدِدُ المستوى السياسي الأهداف السياسية، فإن المستوى الاستراتيجي سوف يُتَرجِمُ هذه الأهداف إلى لغة عسكرية، فيما يتعامل المستوى العملياتي مع عملية

[١٩] Diplomatic, Information, Military, Economic, Financial, Intelligence and Law Enforcement

مشتركة معيَّنة في منطقة العمليات المشتركة، على أن يركِّز المستوى التكتيكي فقط على مَهَمَّةٍ معيَّنة في هذا المجال (Rădelescu، ٢٠١٥). من الواضح أن المؤشرات الأولى والإنذار سيأتي من المستوى التكتيكي. إلا أنه مع وجود المعلومات القتالية فقط، سيكون من الصعب على المستوى التكتيكي إدراك أننا نواجه وضع الحرب الهجينة. نظراً لأن المستوى العملياتي يتلقى معلومات أكثر من المستوى التكتيكي، فإن لديه فرصة أكبر للتعرُّف على الحرب الهجينة في المراحل المبكرة. إلا أنه عادةً، لا يمكن للمستوى العملياتي الوصول إلى الكثير من المعلومات الضرورية من أبعاد أخرى: مثل السياسة والاقتصاد والفضاء الإلكتروني. في ظل هذه الظروف، بما أن المستوى الاستراتيجي يمكن أن يحصل على المعلومات الضرورية ليس فقط من الهيكل العسكري ولكن أيضًا من الهياكل أو المجالات غير العسكرية الأخرى، **فإن المستوى الاستراتيجي لديه الفرصة الأفضل للتعرف على الحرب الهجينة**. ومع ذلك، يتعين على المرء أن يتقبَّل حقيقة أن المستوى الاستراتيجي لن يكون لديه معلومات مباشرة مثل المستوى التكتيكي. لذلك، يجب أن تكون إجراءات الإبلاغ والتقييم القائمة صحيحة. وهي هناك في تناسُب عكسي بين المعلومات المباشرة وكمية المعلومات التي تصل إلى المستويات التكتيكية والاستراتيجية.

توصيات من أجل القيادة والسيطرة الفعالة في البيئة الخطرة

التوجيه:

في الحرب الهجينة، عند الأخذ في الاعتبار أن خصمنا سيحاول منعنا من اتخاذ القرارات في الوقت المناسب من خلال خلق مواقف غامضة، علينا إيجاد طريقة لتشغيل مرحلة التوجيه في حلقة OODA بشكل صحيح. في مرحلة الملاحظة، نحصل على جميع البيانات الأوَّليَّة، وفي مرحلة التوجيه، نحاول معرفة ما يعنيه لنا وما يمكننا القيام به حيال ذلك. تتم معالجة البيانات في المعلومات المعروضة في نموذج يمكن فهمه للأشخاص الذين يستخدمونها، مثل التقارير القياسية والرسومات والتخطيطات... إلخ.

المعرفة هي البيانات التي تمَّ تقييمها من حيث الموثوقية والأهمية والصحة. والمعرفة هي أجزاء مختلفة من البيانات التي عولِجَت بحيث تُدمَج وتُفسّر لرسم صورة للوضع. على سبيل المثال، المعلومات الاستخباراتية شكل من أشكال المعرفة بالمقارنة مع المعلومات القتالية التي لم تخضع بعد للتحليل والتقييم. وبالمثل، فإن التقارير الاستخباراتية والتي تتناول الوضع مجتمعة تكون تقديراً للوضع يمثِّل المعرفة. في هذا المستوى، بدأنا في الحصول على منتج يمكن أن يكون مفيداً في اتخاذ القرارات (Beyazkürk & Özdemir، ٢٠١٥).

الفهم يعني أننا اكتسبنا الوعي بالظرف المحيط، مع كشف نقاط الضّعف الحرجة للعدو، كما يكشف أنماط الموقف وأسبابه. علاوة على ذلك، يسمح لنا الفهم بتوّقع الأحداث قبل حدوث عواقب التطورات الجديدة أو الوشيكة أو آثار أفعالنا على العدو. كما نحاول جعل الفهم أساساً لقراراتنا على الرغم من إدراكنا أنه نادراً ما نستطيع الحصول على فهم كامل.

نحن بحاجة إلى المعرفة أو فهم الوضع بشكل أفضل. لذلك فالمؤشرات والعلامات التحذيرية مهمة. يجب ألا ننتبه إلى ما تم إعلانه بل إلى ما تم فعله.

مع الأخذ في الاعتبار أنه ستبقى لدينا بعض الشكوك، فإننا نحتاج إلى التعوُّد على اتخاذ القرارات دون الحصول على صورة كاملة. ومع ذلك، يجب أن نستمر في إدارة الدورة بشكل أسرع ومراقبة نتائج قراراتنا. **أسوأ قرار أفضل من البقاء متردداً بغير حسم.** ومع ذلك، نحن بحاجة إلى مواصلة المراقبة بمجرد بدء التنفيذ. بمعنى آخر، نحتاج إلى فهم نتائج قرارنا ومحاولة بدء دورة قرار أخرى إذا احتجنا إليها.

تنظيمات قابلة للتعلُّم:

في ساحة المعركة، قد نرى طُرُقاً جديدة لتطبيق الحرب الهجينة. قد لا يستخدم الخصم القوى التقليدية ذات المهام الكلاسيكية، مثل الهجوم والدفاع. بدلاً من ذلك، قد يكون للقوات التقليدية دور داعم وقد تقوم القوات الخاصة فقط بإجراء العمليات الحاسمة. بالإضافة إلى ذلك، قد يتعيَّن علينا إجراء عمليات على بُعد جديد من ساحة المعركة، مثل الفضاء الإلكتروني (& Gunneriusson Bachman، ٢٠١٥). **لذلك، علينا أن نقبل أن ساحة المعركة مثل أي كائن حي. سوف يتطور**

ولن يكون له نفس الخصائص باستمرار. في عوالم أخرى، سوف يقوم خصمنا بتغيير التكتيكات ومحاولة تكييف قوتها مع الظروف الجديدة.

قد تتاح للتنظيمات التي تتعلّم فقط فرصة للبقاء على قيد الحياة والتكيُّف مع تلك الظروف الجديدة. ومع ذلك، لا يكفي أن تصبح تنظيماً قابلاً للتعلُّم. بالإضافة إلى ذلك، تحتاج إلى تثقيف مرؤوسيك والقائد ليكونوا أفراداً متعلمين. يجب ألا ينسى القادة وضباط الأركان أن "استخدام الحلول القديمة لحل المشاكل الجديدة سيكون خطأً كبيراً". ينبغي عليهم إنشاء حلول مناسبة صحيحة للمشكلة المحددة.

لذا يمكننا استنتاج أننا نحتاج "علماء مُقاتِلين"، والقادة العسكريون على كافة المستويات يجب أن يخوضوا القتال، لكن في ذات الوقت، يجب أن يكونوا علماء، بمعنى أنهم يجب أن يتعلّموا كيف يقاتلون جيداً ويتعلّموا أيضاً كيف يجمعون البيانات من ساحة المعركة ويحللونها بغية الحصول على المعرفة اللازمة لفهم ساحة المعركة على النحو الأمثل. وبانتهاج هذه العملية يمكنهم الحصول على الحلول الملائمة ليلائموا أنفسهم تنظيمياً وإجرائياً. ولا يجب أن يكون لديهم أحكام مسبقة، ومن جهة أخرى يجب أن يكون لديهم نظام لتحديد الدروس المستخلصة وتعميمها على الوحدات التابعة لهم في الوقت المناسب. ومن شأن هذا إيجاد الحلول المناسبة للحالات معينة يمكن مواجهتها على كافة المستويات ومضاعفة القوة اللازمة في هذه المواجهة.

قيادة المهمة:

مهمة القيادة والسيطرة تتقبَّل الاضطرابات والشك في الحرب. وبدلاً من زيادة مستوى اليقين الذي نسعى إليه من خلال القيادة والسيطرة على المهمة، نقوم بتقليل درجة اليقين "التي نحتاجها". في مثل هذا النظام، يترك القائد لمرؤوسيه الحبل على الغارب، متيحاً لهم حرية حركة كبيرة وطالباً منهم أخذ المبادرة. يتم تعزيز الانضباط المفروض من أعلى مع الانضباط الذاتي في جميع أنحاء التنظيم. لأن هذا الشكل من التنظيم يضفي طابع اللامركزية على عملية اتخاذ القرارات ويمنح المرؤوسين حرية حركة كبيرة، بمعنى المبادرة. من خلال تطبيق اللامركزية في سلطة اتخاذ القرار، تسعى مهمة القيادة والسيطرة إلى زيادة درجة السرعة وتحسين القدرة على التعامل مع

الحالات المائعة والفوضى. علاوة على ذلك، مع اعتمادها على الاتصالات الضمنيَّة، فإن القيادة والسيطرة على المهمة أقل عرضة لتعطيل تدفق المعلومات من القيادة والسيطرة التفصيلية. (Dempsey، ٢٠١١).

من المهم الإشارة إلى أن المبادرة لا تعني أن المرؤوسين يتمتعون بحرية التصرف دون توجيه من الأعلى. في الواقع، تضع المبادرة عبئاً خاصّاً على المرؤوسين، مما يتطلب منهم دائماً وضع صورة أكبر في الاعتبار والتصرف في انسجام مع نوايا كبارهم. وبالتالي فإن حرية التصرف بمبادرة تنطوي على التزام أكبر بالعمل بطريقة منضبطة ومسؤولة. المبادرة تضع عبئا أكبر على الأعلى رتبة ومسؤولية كذلك. لا يعني تفويض السلطة إلى المرؤوسين أن القادة الأعلى سيكونون خالين من المسؤولية النهائية. يجب عليهم وضع إطار لإرشاداتهم بطريقة توفر فهمًا كافياً للمرؤوسين للعمل في وئام مع رغباتهم مع عدم تقييد حرية التصرف (كيسلر، ٢٠١٠). يجب أن يتعلم القادة التعبير عن رغباتهم بشكل واضح وصريح.

عادة هناك خمسة عناصر في أي بيان مهمة: وهي **مَن ولماذا ومتى وأين وماذا**. في بيان القرار، نحتاج إلى إضافة "**كيف**" إلى البيان. في كلا البيانين، سيكون "لماذا" هو المفتاح، لأنه سيكون جوهر الهدف من القائد (.Pang et.al، ٢٠١٤). تصف المهمة وبيانات القرار الإجراء الواجب اتخاذه بينما تصف النية النتيجة المرجوة للإجراء. في قيادة المهمة، يعد بيان النية هو الجزء الأكثر أهمية في أي شخصيات أو لاعبين. في حين أن الموقف قد يتغير، مما يجعل المهمة قديمة، إلا أن النية أكثر ثباتًا وتستمر في توجيه أعمالنا. إن فهم نية قائدنا يتيح لنا ممارسة المبادرة في انسجام مع رغبات القائد. وبالتالي، ينبغي أن تهدف نية القائد إلى الجمع بين مختلف الإجراءات المنفصلة للقوة، مع تحديد الغرض. كما ينبغي توفير أكبر قدر ممكن من سعة الرؤيا. عند القيام بذلك، ينبغي أن توفر المنطق الذي يسمح لكل مرؤوسين بالعمل وفقًا لظروفهم الخاصة بهم مع الحفاظ على الانسجام مع بعضهم البعض وهدف القائد الأعلى. في حين أن مهاماً معيَّنة قد تغلِبُ عليها الأحداث، فإن نية القائد ينبغي أن تسمح للمرؤوسين بالتصرف بالمبادرة حتى في مواجهة الفوضى والتغيير.

التوافق بين الوكالات:

في سياق DIMEFIL، تحتاج وكالات متعددة ذات ثقافات مختلفة إلى العمل في توافق وانسجام (بالمر، ٢٠١٥). هذا يعني أنه يتعين علينا إدارة عدة حلقات OODA. سيكون لكل حلقة إيقاع معركة وثقافة وإجراءات وأهداف خاصة بها. يجب على المنظَّمة الأعلى أن تقود الوكالات مُحَقِّقَةً وحدة الجهود بينهم وتشرف عليهم وتؤسس لوحدة الجهود بينهم. سيكون إيقاع المعركة هو مفتاح التوافق. إيقاع المعركة هو دورة يومية مدروسة من أنشطة القيادة والموظفين والوحدة تهدف إلى مزامنة العمليات الحالية والمستقبلية. لذلك يجب أن يكون إيقاع المعركة لكل الوكالات متوافقاً هذا سيكون رصيداً هاماً للدفاع ضد تهديد هجين. عند الحديث عن توافق الوكالات، يجب أن تبدأ المزامنة مبكراً في التخطيط. نحن نسمي هذه العملية "مقاربة الضغط". مقاربة الضغط هي عملية التخطيط ليس فقط في المجال العسكري ولكن أيضًا في جميع مجالات DIMEFIL (ماكدونيل، ٢٠٠٩).

حوسبة المعركة:

يقدم لنا عصر المعلومات فرصاً مختلفة لعملية القيادة والسيطرة. من شأن حوسبة جمع البيانات ومعالجتها ونشرها أن تساعدنا في الحصول على تفوق المعلومات وإنتاج صورة عملياتية عامة (COP) / صورة عملياتية مشتركة (JOP) في وقت أقرب. لا حاجة للقول إن هذه القدرة ستسهم في تشغيل حلقة OODA أو دورة القيادة والسيطرة بشكل أسرع من الخصم (Lehaci، ٢٠١٥). من الواضح أن على المرء وضع الأدوات اللازمة لمنع تدفق المعلومات، مثل فلاتر البيانات وأدوات الفحص المتقاطع.

من ناحية أخرى، يجب أن يحرص المرء على عدم استخدام منطق الحرب التقليدي أثناء تصميم نظام قيادة وسيطرة لمواجهة التحديات التي تطرحها بيئة الحرب الهجينة. يجب أن تأخذ المقاربة الجديدة على الأقل أبعاد DIMEFIL من الحرب الهجينة وأن تكون مدركة للتحدي المتمثِّل في إنتاج أدوات توعية موضعية هادفة تساعد صانعي القرار على اتخاذ قرارات في الوقت المناسب.

في هذا السياق، سيكون العمل على مؤشرات الحرب الهجينة وأنظمة الإنذار مفيداً جداً. سوف يساعدون الموظفين على فهم الموقف مبكراً بما فيه الكفاية ويطلبون القرار المبكر.

تصميم هيكل قيادة مناسب للحرب الهجينة:

نظرًا لأن لكل عملية لها خصائص مختلفة، يجب أن يكون لها هيكل قيادة وسيطرة مختلف مناسب لتلك العملية تحديداً. بالإضافة إلى ذلك، يجب أن تكون مرنة وقابلة للتكيُّف.

تذكر أن المستوى الاستراتيجي العسكري له صلات ضرورية مع معاهد غير عسكرية، سيكون من الحكمة إنشاء هيكل مناسب لإدارة الأزمات للاعتراف بالحرب الهجينة وتوفير وظائف القيادة والسيطرة الفعَّالة في هذا المستوى. كمقاربة ثانية، قد نوصي بإنشاء فرقة عمل تتكون من موظَّفين عسكريين وغير عسكريين على المستوى السياسي.

كما يجب على المستوى التكتيكي أن يتضافر التنظيم العسكري والأمني والاستخباري ضمن هيكل مشترك. ولكن هذا الهيكل سيكون أمنياً ثقيلاً. وينطبق الشيء نفسه على المستوى العملياتي. ومع ذلك، ينبغي تعديل مجال المسؤولية وهيكل المنظمات النسبية. يجب أن يتم إعداد هذه الهياكل خلال الوقت المحدد والمَهَمَّة الرئيسية هي القضاء على أي ثغرة أمنية قد يستغلها خصمنا. مع بدء الحرب الهجينة، قد تدير هذه الهياكل الحرب الهجينة على مستوى الولايات وتوفِّر المعلومات اللازمة للمستويات العملياتية والاستراتيجية. يجب أن يوفر المستوى التكتيكي معلومات نسبية لاتخاذ القرار والتخطيط.

في الختام، فإن نظام القيادة والسيطرة هو: ترتيب الأفراد و(تنظيم) إدارة المعلومات والإجراءات والمعدات والمرافق الضرورية للقائد لرصد العمليات والتخطيط لها وتقييمها وتنفيذها. سيساعدنا فهم حلقة OODA على إنشاء هيكل قيادة وسيطرة أفضل للحرب الهجينة. والسؤال هو "كيفية إدارة الحلقة بشكل أسرع من خصومنا؟" من أجل الدخول في دورات صنع القرار الخاصة بهم.

قد نستنتج أيضًا بأن الغموض والخداع والمقاربة المشتركة بين الوكالات والطرق / الأساليب المختلفة والتكتيكات المتعددة والجهات الفاعلة غير الحكومية هي التحديات الرئيسية للحرب الهجينة

من منظور القيادة والسيطرة. مع مراعاة هذه الخصائص في إطار حلقة OODA، قد نشير إلى أننا بحاجة إلى تركيز جهودنا على:

- جعل مرحلة التوجيه أكثر فعالية وأسرع
- امتلاك منظومة تعليمية
- استخدم قيادة المهمة
- خلق التوافق بين الوكالات
- استخدام قدرات عصر المعلومات (حوسبة ميدان المعركة)
- تصميم هيكل القيادة والسيطرة السليم.

الفصل الثالث

التقنيات الصاعدة في مستقبل الحرب الهجينة

التقنيات الناشئة في سياق حرب مستقبلية/هجينة

آلان شافيير

كان التنظيم مذهلاً وكان عمل ضباط الأركان الخاص بك لا يُصَدَّق. هذا موضوع شاق للغاية...التقنيات الصاعدة في سياق الحرب الهجينة في المستقبل. أريد أن أقول بعض الأمور. أشعر دائماً بالتوتر عندما يطلب مني الناس التنبؤ بالمستقبل التقني. لأنني أتذكَّر شخصيات بارزة مثل توماس واتسون الذي أسس شركة I.B.M. في أوائل الخمسينيات من القرن الماضي، فقد قال توماس واتسون "أعتقد أن هناك سوقاً عالمية لنحو خمسة أجهزة كمبيوتر", لقد أخطأ قليلاً، ففي أوائل التسعينات، قال بيل غيتس مؤسس شركة Microsoft " ستمائة وأربعون كيلوبايت كافيًا لأي شخص." لذا يصبح التوقّع بالمستقبل أمراً صعباً للغاية. لقد استمعت إلى حديث الدكتور ميز عن الطاقة الموجَّهة. أستطيع أن أتذكَّرَها عندما كنت ضابطاً صغيراً في أوائل الثمانينات.

كان الناس متأكدين من أن أشعة الليزر ستكون هي الشيء التالي في ساحة المعركة، ومع ذلك ليس لدينا أي أنظمة ليزر قائمة الآن. لذلك تصبح تقنية التنبؤ غامضة للغاية. سمعت الكثير عن الحرب الهجينة أمس. لكنني أزعم أن الهجين ليس شيئاً جديداً. كانت الحرب الهجينة موجودة دائماً وأريد أن أشير إلى هذا في غضون لحظات. الجديد هو ظهور أدوات جديدة، تقنيات في المقام الأول في مجال المعلومات التي طغت على ساحة المعركة. لقد وصلنا إلى عصر حيث وقت قرار مضغوط للغاية. التقنيات التجارية التي يمكن تطبيقها بالمعنى العسكري متاحة للجهات الفاعلة الحكومية وغير الحكومية. معظم العلوم الآن متعددة التخصصات. اعتدنا على التفكير من حيث

الطاقة للمحتوى المتفجر. الآن نفكر "كيف تتفاعل أدوات الإنترنت والمعلومات مع المنصات" يصبح عالماً مشوشاً جداً.

أذهب إلى أول محارب هجين. صن تزو الذي عاش في حوالي الألف قبل الميلاد، وإذا نظرتم إلى اقتباساته. تلك اقتباسات للحرب الهجينة بالذات: "فن الحرب الأعلى هو إخضاع العدو دون قتال؛ إذا كنت بعيداً عن العدو فاجعله يصدِّق أنك قريب ؛ – ومن ثم، فإن الجنرال الماهر في الهجوم الذي لا يعرف خصمه كيف يدافع ؛ والماهر في الدفاع هو الذي لا يعرف خصمه كيف يهاجم. العمليات السرية ضرورية في الحرب. على أساسهم الجيش يعتمد ويقوم بكل خطوة. أنا أزعم أن هذه الاقتباسات تصف بالضبط نيَّة الحرب الهجينة. لذلك أعتقد أنه من المهم للغاية فصل العبارة الجديدة للحرب الهجينة عن المفاهيم القديمة للحرب. الأمور لا تتغير. الأدوات التي نستخدمها تتغير. لذلك سوف أركِّز ليس على التقليد، لكنني سأقول إن إحدى الدروس المستفادة في أذهان الحاضرين من الأمس تتمثل في أن الطرف الذي يستخدم الأدوات الهجينة دون القدرة على توجيه الضربات التقليدية يمكن أن يشن حرباً تقليدية، مع الملاحظة أن الضربات والمناورة لن تكون قوية. ما الجديد في عملياتنا الإلكترونية؟ فهم واستخدام الشبكات الاجتماعية، وعمق العمليات النفسية، وعمليات المعلومات والهجمات غير المباشرة والأهداف الاقتصادية المدنيّة؛ في عالم اليوم، تحتاج إلى أدوات تقليدية وهجينة.

لذلك أريد أن أقضي حوالي ثلاث دقائق، واصفاً العلوم والتقنيات [التي توصل إليها] الناتو لأن هذا مهم. أدير مكتباً يجمع العلماء والمسؤولين من ثمانية وعشرين دولة بالإضافة إلى عدد من الدول الشريكة للتفكير في كيف نعمل سوياً بشكل أفضل؟ قال اللورد روبرتسون إنه لا يمكن لدولة في العالم الحديث أن تفعل كل شيء وهو على حق. لذا، فإن وظيفتي هي الجمع بين الدول للعمل معاً. أسس العلوم والتقنيات في حلف الناتو جاءت من البروفيسور ثيودور فون كارلمان الذي كان لديه هذا الاقتباس.

أنا أزعم الآن، أن عليك أن تضيف العنصر السياسي. لقد قال كارلمان **إن النتائج العلمية لا يمكن استخدامها بكفاءة من قبل الجنود الذين ليس لديهم فهم لها. كما لا يمكن للعلماء تحقيق نتائج**

للحرب دون فهمهم للعمليات. إن العالم الحديث ممتزج بالسياسة. أنا أعمل في منظمة حلف الناتو للعلوم والتقنيات. مهمَّتُنا هي إجراء وتعزيز أنشطة العلوم والتقنيات في جميع الدول الثمانية والعشرين؛ بالإضافة إلى تطوير القدرات المتعلقة بالأمن والدفاع والتأثير عليها ودعم اتخاذ القرارات في مقر الناتو. للقيام بذلك، لدينا شبكة من خمسة آلاف عالم من ثمانية وعشرين دولة بالإضافة إلى عدد من الدول الشريكة وندير أكثر من مائتي نشاط مستمر في وقت واحد. ونحن ندير التواصل مع المجتمعات العلمية الجماعية لحوالي خمسمائة ألف عالِم في جميع دول الناتو. إذاً، الحيلة هي كيف تجعل الناس يجتمعون للعمل معاً؟ أنا أزعم أن منظمة حلف شمال الأطلسي هي السبيل للوصول إلى تطوير القدرات المستقبلية لجميع الدول. سمعنا عن هذا بالأمس. لكن، من المؤكد أن التآكل الواسع للتفوق العسكري القائم على التقنيات مستمر. وتواجه معظم الدول مستوى من التقشف المالي، وقد أصبح الوقت لتطوير تقنيات جديدة مضغوطاً. لدي شرائح [٢٠]مختلفة أستخدمها عادةً. بعض الشرائح توضّح أن ما كان يحتاج إلى ٢٠ عاماً للتطوير يستغرق الآن حوالي خمس سنوات في عالم تقنيات المعلومات. إن التطور التقني يفوق قدرتنا على نقل كل شيء الى الميدان. زيادة الوصول إلى التقنيات التجارية كأدوات للحرب أمر مهم للغاية. ولدينا ظهور أساليب جديدة نتحدث عنها خلال هذين اليومين. أنا أزعم أن التقارب بين هذه العوامل الخمسة يعني أنه من المهم الآن أكثر من أي وقت مضى هو أن نتعاون بفعالية عبر حلف الناتو والدول الشريكة. وللقيام بذلك، لدينا عوامل، في المناطق العسكرية التقليدية: المركبات التطبيقية، والعوامل البشرية والطب، وتقنيات نظم المعلومات، وتحليل النظم، وبحوث العمليات. عليك أن تفهم كيف تتجمع الأشياء. النظم والمفاهيم والتكامل؛ هذا كل شيء عن هندسة النظم. إن التقنيات، إذا كنت لا تصممها وفقاً لمعنى النُّظُم، فليس لها سوى قيمة ضئيلة جداً. وبالطبع ينطبق الامر على المجسَّمات والنمذجة والمحاكاة. هذا يدل على نمو البرنامج التعاوني في العلوم والتقنيات للناتو على مر السنين. نحن الآن ندير مائة وخمسة وسبعين مجموعة مهمة.

مجموعات المهمة هي عبارة عن جهود تتراوح بين سنتين وثلاث سنوات تجمع ما لا يقل عن عشرة علماء من أربع دول أو أكثر للعمل على مشكلة محددة. لدينا أيضا الندوات وورش العمل وغيرها

[٢٠] يقصد شرائح عرض على برنامج بوربوينت.

من الأحداث. سأذهب بسرعة كبيرة من خلال حوالي ثمانية إلى عشرة مخططات رباعية. اعتذر مقدما، فقد أردت سحبها مباشرة من أرشيفنا الخاص بدلاً من تلخيصها. لذلك، هناك الكثير من الكلمات في أي من هذه الشرائح. لكن تظهر بعض الأنشطة الحالية الجارية في الناتو. وهذه الأنشطة متاحة للكثيرين وانضمت بالفعل إليها تركيا ودول الناتو الأخرى. لدينا فريق مهام أبحاث العمليات يبحث في عمليات تقييم الحرب والعمليات غير النظامية وهذه المخططات الرباعية؛ الزاوية العليا اليسرى هي العنوان، الزاوية السفلى اليسرى هي الأهداف، لا تحاول قراءتها. لن أحاول قراءتها. سنترك الشرائح الآن. يُظهر الركن الأيمن العلوي للشرائح ما تشاركه الدول. لكنني سأقول شيئاً موجزاً عن كل من هذه.

تبحث هذه المجموعة في أفضل الممارسات لتخطيط وإعداد الأفراد، وتدريب الجندي، وأهم شيء هو تدريب الجندي على استخدام الأدوات الجديدة لجمع المعلومات والتكيف والقدرة على العمل في بيئة غير نظامية. لدينا دراسة حالة وحرب هجينة كما في ضم شبه جزيرة القرم من قِبَلِ روسيا. يمكنك رؤية عدد الدول المشاركة. وأبرزها أوكرانيا التي تشارك كدولة شريكة. لدينا مجموعة من حوالي ٢٥ من محللي أبحاث العمليات يبحثون في البيانات ويحللون الأدوات غير النظامية التي استخدمت في حالة أوكرانيا. ثم تقوم المجموعة بتقييم مدى فعالية الأدوات وأين لم تكن فعالة. ستكون اكتشافات فريق المهام أمراً مهماً جداً للمُخَطِطِين العسكريين في المستقبل. هذا فريق عمل سريع بدأ في أكتوبر. طلب منا أن نبدأ في أكتوبر، وسوف يكتمل بحلول شهر يونيو بتقرير. لذلك أعتقد أن هذه دراسات بحثية مهمة.

أنا الآن أنظر إلى اثنين من أنشطتنا. وهذه مجموعات مهمة بحثية مستمرة في الحرب الإلكترونية. لذلك سمعنا الكثير عن الحرب الإلكترونية. أولاً وقبل كل شيء، الحلقة الأكثر ضعفاً في أي نظام سيبراني، هي في شبكة الكمبيوتر، كان لديه منصة لأنه في نهاية اليوم، لم تعد جميع الدبابات والسفن والطائرات لدينا أكثر من مجرد طافية أو مبحرة أو مناورة في الشبكات السيبرانية. **الأكثر ضعفاً في شبكة الإنترنت، هو التواصل البشري مع تلك الشبكة.** إذا فكرت في الأمر، فإن معظم الاختراقات التي تقوم بها بعض الدول تحدث لأن الإنسان لم يفعل شيئاً ما في مكان ما. تبحث

مجموعة المهام هذه في تفاعلات النظم البشرية والتكامل مع شبكات الكمبيوتر. وكيف يمكننا حماية الشبكات بشكل أفضل من الإخفاقات البشرية؟ وكيف يمكننا التعرف بسرعة أكبر عندما يحدث خطأ ما.

فرقة العمل التالية هي التي تعمل في مجال تحدّثت عنه الدكتورة مي وأعتقد أنه أحد أهم المجالات؛ صنع القرار في إطار مستقبلي من المرونة الإلكترونية. أنا لا أعتقد أننا سنكون قادرين على الحماية الكاملة لأي شبكة إلكترونية في المستقبل. فشبكات الإنترنت ضعيفة. وإذا كانت متصلة، فهي عرضة للخطر. لذلك هي أحد أهم الموضوعات البحثية ولدينا حوالي عشرين عالماً يعملون على: كيف تعمل من خلال هجوم عبر الإنترنت. كيف يمكنك تقسيم الشبكة للاستمرار في العمل؟ عندما كنت ضابطاً شاباً اعتدنا على الحديث عن هذا في سياق نووي. كيف تقاتل من خلال هجوم نووي، يتعلق السؤال نفسه بالفضاء الإلكتروني؟ كيف تعمل بفعالية في مواجهة الهجوم السيبراني (الإلكتروني)، وكيف تحدد الهجوم، وكيف تقسم ناقل الهجوم، وكيف تواصل تقديم النتائج؟

مجموعة المهام التالية التي أود تسليط الضوء عليها وهذا يختلف قليلاً عن المهام التي كانت لدينا من قبل، لذلك أحاول وبكل صدق تسليط الضوء على الأنشطة الحقيقية المستمرة. تعمل مجموعة المهام التالية هذه في التحليل التنبئي للعمليات العدوانية أو الإلكترونية. هذا الفريق يتكون من حوالي عشرة إلى اثني عشر عالماً عبر الإنترنت حالياً يبحثون في الهجمات المعروفة ثم يحاولون تطوير القرارات المتاحة لمساعدة المشغِّلين العسكريين ومشغِّلي الشبكات على التنبؤ بشكل أفضل بالخطوة التالية. إذا كانت لديك إشارة جيدة إلى ماهية الخطوة التالية في الهجوم السيبراني، فيمكنك بناء القدرة على الصمود لاتخاذ خطوات الصمود ومواصلة العمل. إنها دراسة رياضية مهمة للغاية.

والمجموعة الأخيرة التي أريد أن أتحدث عنها هي النمذجة والمحاكاة لدعم الدفاع السيبراني. أعتقد أن هذا أمر مهم لأنني أؤكد الآن أننا لا نفهم ونتعامل مع الإنترنت كمجال في الحرب. يمكنني قياس الأشياء في المجال الجوي، يمكنني قياس الأشياء في مجال الفضاء، لكن لا يعرف الأشخاص ما الذي يجب قياسه في المجال الإلكتروني. ولكن من خلال إجراء النمذجة والمحاكاة،

ومحاكاة الشبكات، وفهم المعلِّمات الرئيسية، سيكون من الأفضل التعامل مع العمليات السيبرانية في المستقبل. أعتقد أن هذا مهم للغاية.

أود العودة الآن لمناقشة موضوعين أو ثلاثة مواضيع جارية في عمليات المعلومات. هذا جانب جديد آخر يتحدث عنه الناس عندما يتحدثون عن الحرب الهجينة.

الأول هو مجرد مجموعة تبحث في عمليات المعلومات من أجل التأثير. إنه شيء واحد للقيام بعمليات نفسية أو عمليات معلومات. لكنك بحاجة إلى وجود محللين ثم إلقاء نظرة على ما هو تأثير تلك العمليات. حيث تتحدث الدكتورة مي عن هذا قليلاً. لا يكفي مجرد اتخاذ إجراء. عليك أن تفهم ماهية النتيجة المحتملة من خلال تحليل عمليات المعلومات المختلفة في الماضي، وفهم ما يحدث سيكون قادراً على تحسين عمليات المعلومات الهجومية في المستقبل، وبالمثل تكون قادرًا على الدفاع بشكل أفضل ضد الاستخدام المعادي لعمليات المعلومات ضد قوات الناتو.

الاندماج متعدد المستويات للمعلومات الصلبة واللينة. أنا أحب هذه الألقاب. بالأمس سمعنا بعض الناس يتحدثون عن تحويل الأشياء الى شبكة الانترنت. أنا لا أحب ذلك. إنها كلمة طنانة. إنه شيء يقوله الجميع "إن تحويل الأشياء الى الانترنت سوف يغيّر العالم". ولكن في الأساس سيكون هناك أجهزة استشعار في كل مكان يمكننا أن نستخلصها من مصادر البيانات ونفهمها. سنكون قادرين على وضع كل هذه البيانات في قاعدة بيانات مركزية واحدة ومن ثم يمكننا استخراج المعلومات المفيدة. يسميها البعض بيانات كبيرة، ويسميها البعض تحليلات بصرية؛ وكل تسمية تطلقونها مهمة للغاية. الخطوة الأولى على الرغم من ذلك، هي الأساس التقني لبيانات الدمج من مصادر متعددة إلى نقطة مرجعية مشتركة. هذا هو التحدي الفني الصعب للغاية. عندما نصل إلى هناك، سيزداد الوعي الظرفي بشكل كبير وتنخفض وقت دورة القرار للمشغِّلين. ومرة أخرى في نهاية اليوم، كل هذه التكنولوجيا تدور حول ما يمكن أن تفعله لتحسين وعي قائد الوضع باتخاذ القرارات في عملية قتالية.

المجموعة التالية التي سأتحدث عنها لفترة وجيزة هي وسائل التواصل الاجتماعية وتقنيات المعلومات لمواجهة الكوارث والأزمات. حتى تتمكن من مواجهة الكوارث والأزمات وتنفيذ عمليات

هجينة أو تنفيذ عمليات إرهابية. كيف تفهم ما يحدث، وكيف يفهم القائد العسكري ما يحدث في وسائل التواصل الاجتماعي، والتقنيات المختلفة المتاحة للجميع، التي يمكن أن تشكل منطقة عملياتهم. من المهم للغاية أن نفهم من خلال الإشارات الضعيفة للغاية، كيف نتعامل في وسائل التواصل الاجتماعي، العالم المتصل اجتماعياً.

من ثم، استغلال معلومات وسائل التواصل الاجتماعي. هناك الكثير من المعلومات في وسائل التواصل الاجتماعي. إذا ذهبت إلى ما قبل هجمات باريس، وإذا ذهبت إلى قبل الربيع العربي؛ كانت هناك إشارة واضحة جداً أن شيئا ما سوف يحدث. لم نكن نعرف كيفية استخراج ذلك من وسائل التواصل الاجتماعي. لذلك لدينا مجموعة من العلماء يحاولون فهم كيفية استخراج إشارات ضعيفة للغاية من خلفية صاخبة للغاية. إنها في الحقيقة ليست أكثر من مشكلة في الهندسة الكهربائية الكلاسيكية مع نسبة إشارة منخفضة للغاية إلى الضوضاء. المعلومات المتعلقة بالأنشطة الإرهابية، والمعلومات المتعلقة بالعمليات الهجينة هي إشارة ضعيفة للغاية ضمن خلفية صاخبة للغاية. هل يمكننا تطوير أدوات تحدد ذلك وتسمح لنا بالعمل؟

هذه هي التقنيات الناشئة التي يمكن أن تُحدِثَ تغييراً جذرياً في كيفية خوضنا للحرب. تحدثت عن هيكلنا مع مجموعاتنا السبع. يتعين على كل مجموعة من هذه المجموعات السبع تقديم ثلاث بطاقات كل عام نسميها بطاقات مراقبة تقنية. هذه تقنيات يمكن أن تغيِّر طريقة عملنا جذرياً إذا نضجت. يمكن أن يغيروا هيكل القوة، وتوظيف القوة، وحماية القوة. ولقد حاولت تنقية نشاطنا في مراقبة التقنية إلى المجالات الخمسة التي أعتقد أنها مهمة للغاية بالنسبة للحرب الهجينة. تحدَّثت الدكتورة مي عن هذا ضمن المجهولات، وهي أنظمة التحكم الذاتي. لا أعتقد أننا يمكن أن نتوقف عند الروبوتات. علينا أن نفكر في أنظمة التحكم الذاتي. هذا الذكاء الاصطناعي، مقترن بأجهزة استشعار، ومقترن بمنصات. يمكنها التحرُّك والقيام ببعض الوظائف. هناك الكثير من الأشياء التي يجب أن نعمل عليها مع قواعد الحرب. تحدَّثنا كثيراً أمس عن الجوانب القانونية. لكن الحقيقة البسيطة في الأمر هي أننا نستخدم بالفعل هذه الأنظمة، والغرب كذلك. لاستخدام التحكم الذاتي في الإنترنت لاتخاذ قرارات سريعة للغاية، عندما نطلق صاروخ كروز؛ فهذا نظام التحكم الذاتي الفعال.

نحن نحدد هدف صاروخ كروز ونطلقه ويخرج صاروخ كروز ويجد هدفه بشكل مستقل وينقض. يشمل التحكم الذاتي عناصر من النانو والذكاء الاصطناعي والروبوتات.

ثانياً المراقبة التقنية هي تحسين الأداء البشري، وفهم كيفية تحسين الأداء البشري في جميع البيئات.

ثالثاً، الذكاء الاصطناعي على مستوى الإنسان. نحن لسنا بعيدين عن ذلك.

رابعاً، عالم تقنيات الاستشعار ينفجر. لتضمين أشياء مثل أجهزة الاستشعار الكمومية التي تسمح لك باكتشاف اختلافات الجاذبية الدقيقة جدًا. هل هذا مهم؟ من المهم إذا كنت تحاول العثور على أنفاق تحت الأرض. قد يهم إذا كنت تحاول العثور على غواصات.

ثم **أخيراً**، اتخاذ القرارات الكبيرة والتحليلات المرئية. كيف يمكننا الاستفادة واتخاذ القرارات من كل هذه المعلومات.

الحرب الهجينة وتطور المركبات المدرعة: قابلية الحركة والقدرة على البقاء

خلدون أولجون – هاكان تيكين

ظهرت الحرب الهجينة لأول مرة في أوائل عام ٢٠٠٥ وبدأ استخدامها في عام ٢٠٠٦ لتحديد التكتيكات والأساليب التي يستخدمها حزب إيران اللبناني في حرب لبنان. منذ ذلك الحين، استخدم مصطلح "الهجين" في معظم الأحيان من قبل خبراء عسكريين وخبراء في وصف المعركة الجديدة للعالم الجديد. وتشمل الحرب الهجينة التقليدية وغير التقليدية، النظامية وغير النظامية (غير المتماثلة)، وتقنيات المعلومات والهجمات الإلكترونية. إنه مصطلح يصف الحرب من جميع الجوانب.

أُعِدَّت هذه الدراسة مع التركيز على المعارك الحالية والمستقبلية والصراعات التي تشمل التهديدات الهجينة.



الشكل الثاني: مثلث التصميم

إن ميزات تصميم المركبات المتعلقة بحركية المركبات المدرعة وقابليتها للنجاة – المركبات التي تعد من المقوِّمات الرئيسية في ساحة المعركة – تتشكل بشكل رئيسي من خلال تقييم متعدد الجوانب للتهديدات التي تمثِّلُها بيئة المعركة الهجينة. في النهاية، نرى بوضوح أن التطور التاريخي للمركبات المدرعة يتطور وفقاً للتهديدات المتغيِّرة والمتطوِّرة.

يبدأ تصميم أي مركبة برية باستخدام دليل التصميم الثلاثي. في الواقع، كل مُصممِ لديه رؤية ثلاثية في ذهنه أثناء الحصول على المفاهيم من المستخدِم النهائي. في حين أن الخبرات المكتسبة والدروس المستفادة تشكِّل العمود الفقري لتصميم المفهوم. من ناحية أخرى، تبدأ المعايير التي تحدُّ من عمل المصممين والمستخدم النهائي الذي يحدد المتطلبات في التراكم. بشكل عام، يمكننا القول أن **تصميم المركبات المدرعة هو فن التوازن بين القدرة على البقاء والحركية.** فيما يتعلق بالحركية، يمكن القول أن مثلث التصميم هذا صالح لكل من المركبات المدولبة والمجنزرة.



الشكل الثاني: العربات المدولبة والمجنزرة

بينما يتم إنشاء توازن، يتم تحديد الأولويات اللازمة وفقاً للتهديدات المحتملة للمركبات بدلاً من التخلي عن مطلب لتحقيق متطلبات أخرى. بينما تبرز بعض القدرات ضد التهديدات والتضاريس المحددة، يمكن الاحتفاظ ببعض القدرات عند حدِّها الأدنى حسب ظروف التهديد والجغرافيا المعنية. ستبدأ أبعاد الميزانية والمالية أيضاً في التأثير على مثلث التصميم هذا على مراحل.

في الشكل ٣، هناك توضيح تخطيطي لما يعرف باسم طبقات الحماية أشبه بطبقات البصل، ومراحل النجاة من بعيد إلى قريب في ساحة المعركة، والقدرات الرئيسية التي يتعين اكتسابها في مرحلة التصميم.

في الواقع، يمكننا أن نسمّي هذا الرسم كطبقات متشابكة حتى تتمكن المركبات من البقاء وأداء مهامها المُتَوَقَّعَة في ساحة المعركة. **يمكننا تقسيمها بكل بساطة "كن مخفياً"، إذا شُوهِدت "لا تُعرَف"، إذا تم التعرف عليك، "لا تسمح لهم بإطلاق النار عليك"، إذا تعرضت لإطلاق النار "لا تسمح باختراقك"، إذا اخترُقتَ "لا تَمُت ".**



الشكل الثالث: بصلة الحماية

CBNRE اختصار لهجوم بكل من chemical, biological, radiological, nuclear and explosive: كيميائي, بيولوجي, نووي, اشعاعي, انفجارت نارية

C4ISR اختصار ل Command, Control, Communications Computers (C4) Intelligence, Surveillance and Reconnaissance (ISR). , قيادة وسيطرة واتصالات وكومبيوتر "C4" استخبارات ونجاة واستطلاع

عندما نجمع بين تهديدات اليوم والدروس المستفادة من الصراعات الأخيرة، لن يكون من الصعب للغاية التوصل إلى استنتاج مفاده أن مفهوم الحماية الكلاسيكية الموصوف أعلاه لا يمكن أن ينطبق على جميع الظروف والشروط. لذلك، كل إقليم وكل بلد لديه تقسيماته الخاصة للحماية لأن لديهم تهديداتهم الخاصة. يختلف "تصنيف النجاة" الذي تراه هنا وفقاً للتهديدات التي تواجهها كل منطقة وكل قوات مسلحة في مختلف البلدان. بطبيعة الحال، قد يكون للمركبات المدرَّعة المصممة لكل جغرافيا وأنواع مختلفة من القتال خصائص مختلفة عن بعضها البعض. من أجل أن تكون قادراً على تقديم ميزات التصميم التي ستحصل عليها المركبات المدرعة في المستقبل، يجب أولاً تحليل التطور التاريخي للمركبات بشكل جيد.

كما هو معروف، كانت الحرب الباردة فترة توتر سياسي وعسكري بين قوى الكتل الشرقية والغربية، والتي بدأت بعد الحرب العالمية الثانية وانتهت بسقوط جدار برلين في أوائل التسعينيات. تم استخدام مصطلح الباردة لأنه لم يكن هناك قتال واسع النطاق بين هاتين القوَّتين ولكن كانت هناك

حروب بالوكالة، بدعم من هذين الجانبين مثل كوريا وفيتنام. كانت التهديدات الكبيرة في هذه الأثناء هي الصواريخ، ووحدات المدفعية الضخمة التي لها تأثيرات كارثية هائلة، والأسلحة الباليستية، ومشاة البحرية، والقدرات النووية، ودبابات القتال الرئيسية.

عندما نركِّز على التهديدات التقليدية المحتملة على الأرض، والتي هي شاغلنا الرئيسي، فإن التهديد المتبادل يمثل نفسه مواجهة مباشرة (وجهاً لوجه) بين وحدات المناورة في قطاعين من الأرض، وفقاً للحرب التقليدية في المناطق المفتوحة والمناطق الريفية في أوراسيا[٢١] وأوروبا.

في الحروب التقليدية، كانت إحدى المهام الرئيسية لوحدة المشاة هي تأمين الحلقة القريبة المحيطة بالدبابات الرئيسية للمعارك - والتي ظهرت لأول مرة في عام ١٩١٧ والتي ظهرت نماذجها المتقدمة في الحرب العالمية الثانية- ضد أسلحة يدوية مضادة للدبابات تُرمَى من قبل عناصر العدو. شوهدت ناقلات الجنود المدرعة المجنزرة في ساحة المعركة في نهاية الخمسينيات والتي كانت ثورية في تلك الأوقات من خلال إمكانية إنزالها من الجو وقدرتها البرمائية مع قدر معيَّن من الحماية. لذلك، كانت المهام الرئيسية للناقلات المدرعة هي حمل المشاة لمسافات قصيرة إلى النقطة الساخنة في ساحة المعركة ونشرها. لذلك، كانوا يعتبرون في كثير من الأحيان "سيارة أجرة ميدان المعركة".

كان الرد على ناقلات الجنود المدرعة لقوات الناتو من الكتلة الشرقية يتمثَّل بمركبات المشاة القتالية في الستينيات. كان BMP-1 هي مركبة المشاة القتالية السوفيتية البرمائية. في الواقع، تعني BMP (مركبة قتال المشاة) باللغة الروسية. لذلك، نقل الاسم من قبل السوفييت. لم تكن المهمة الرئيسية لهذا النوع الجديد من المركبات المدرعة هي حمل المشاة إلى النقطة الساخنة فحسب، بل أيضاً تقديم الدعم الناري لهم والقتال إلى جانب الدبابات القتالية الرئيسية. ردًا على BMP، ظهرت النماذج التالية من ZMAs مثل Marder و Warrior و AFV من الكتلة الغربية.

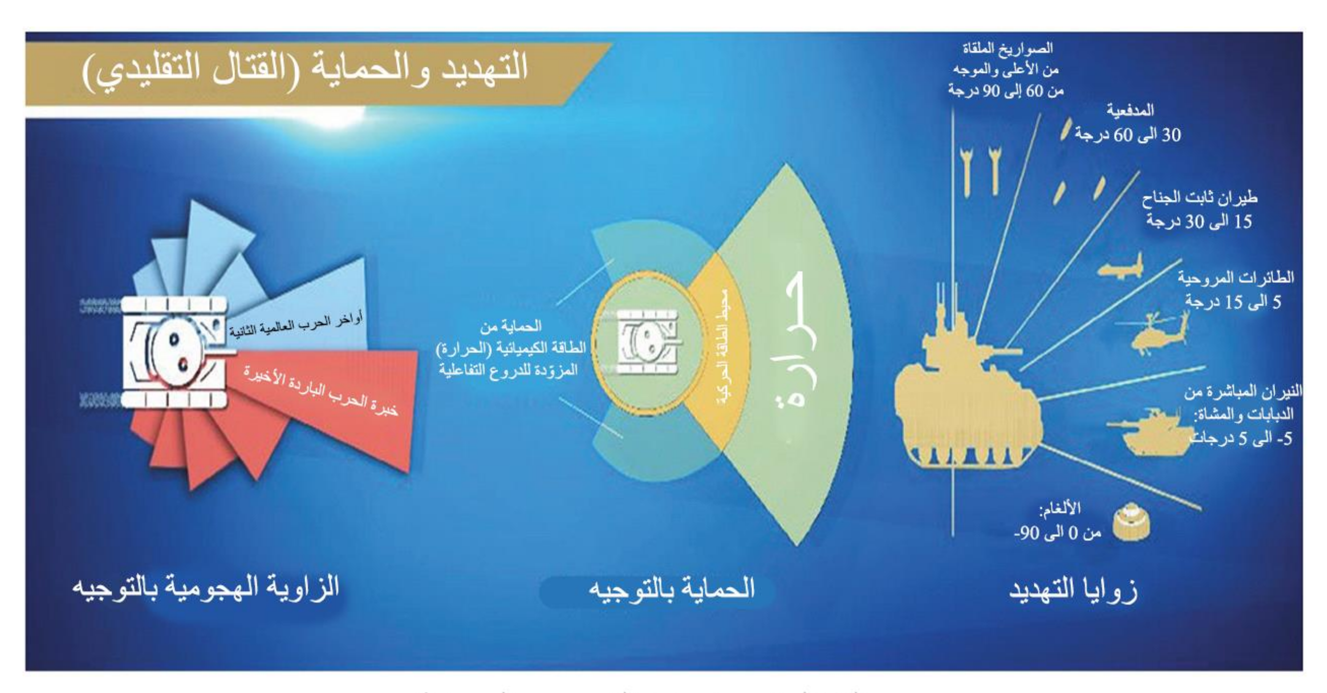
خلال فترة الحرب الباردة، كان من المتوقع أن تتعرض زاوية الهجوم للتهديد بشكل أساسي من الجانب الأمامي وأن الحماية الباليستية لمنطقة تبلغ زاوية انفراجها ١٢٠ درجة تقريباً أمام المركبة

[٢١] **أوراسيا**: روسيا وآسيا

التي تمَّت زيادتها مقارنة بالجوانب الأخرى للمركبات المدرعة. على جانبي المركبة وخلفها حيث كان احتمال عدم توقع التهديد أقل، كانت الحماية الباليستية أقل نسبياً من الحماية الأمامية من أجل عدم زيادة الوزن الكلي القتالي.

بالإضافة إلى ذلك، تم توفير حماية للزوايا ٦٠–٩٠ درجة للذخيرة الهجومية من الأعلى قذائف الهاون، ٣٠–٦٠ درجة لقذائف المدفعية، ١٥–٣٠ درجة للطائرات، ٥–١٥ درجة للمروحيات الهجومية، ٥ / +٥ درجة لنيران المشاة المباشرة و ٠ –٩٠ للألغام المضادة للأفراد.

وإذا نظرت إلى زاوية الهجوم، هنا مرة أخرى يمكننا أن نرى الصواريخ الهجومية من الاعلى وقذائف الهاون والمدفعية والطائرات الحربية والمروحيات الهجومية والنيران المباشرة من المشاة والألغام ومعظمه الألغام المضادة للأفراد.. (الشكل ٤ زوايا التهديد والحماية)



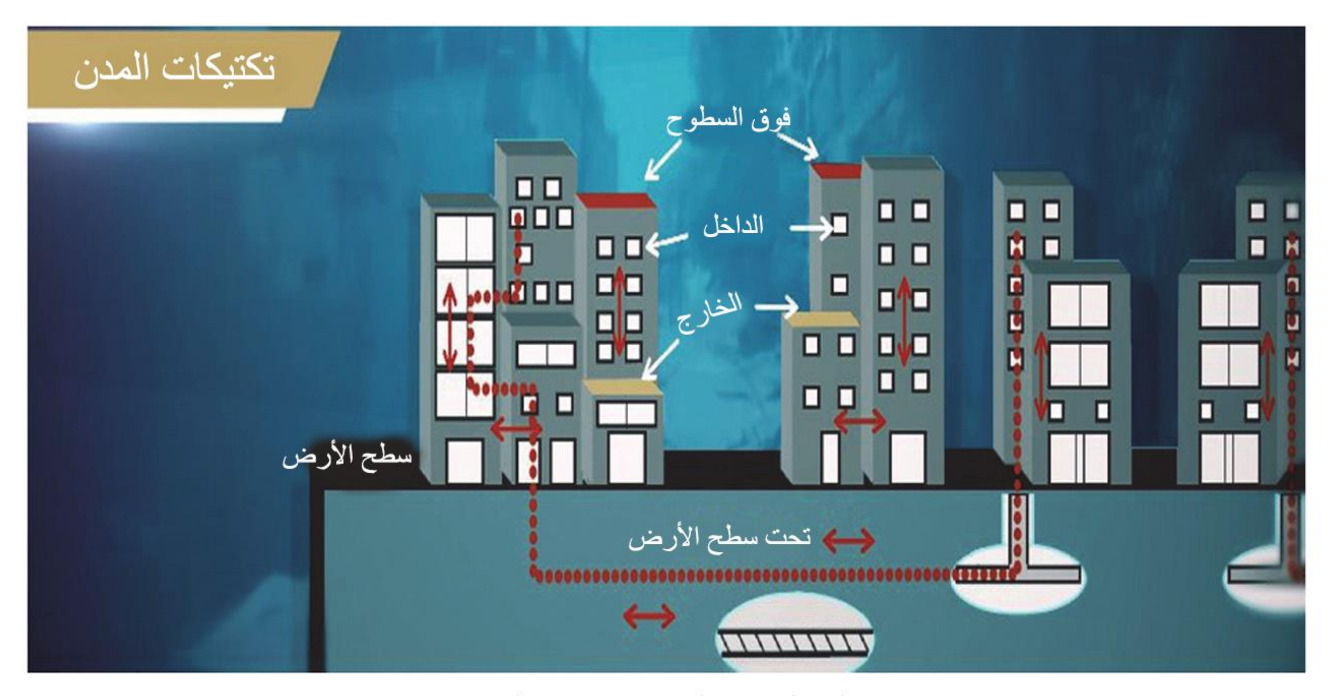
الشكل4-: زوايا التهديد والحماية

كانت هذه هي التهديدات، لكن ماذا عن مفهوم مركبات المشاة القتالية في تلك الأوقات؟ كان على الجنود أولاً حمل معدات حوالي ٢٠ كيلوجرام في تلك الأوقات. لذلك، كان على المصمم أن يجد مساحات مخصصة في المركبة لهذه المعدات القتالية. وكان هناك تهديدات محدودة بالألغام أو العبوات الناسفة. لذلك، كانت المركبات محدودة العدد للغاية أو لا تكاد تحمي من الألغام ولا توجد

فيها مقاعد محمية ضد الألغام. كانت هناك مقاعد للمشاة فقط بدلاً من المقاعد المحمية ضد الألغام لكل جندي. تم تثبيتها في المركبة وجهاً لوجه أو ظهراً لظهر بغضِّ النظر عن راحة الطاقم. تستخدم المشاة الفتحات لإطلاق النار. فيما المركبات مزودة بمرشحات NBC للطاقم والمشاة. لم تكن هناك أنظمة لإدارة ساحة المعركة، والمركبات لديها نظام التحكم في النيران القديم من الجيل الأول. معظم المركبات لم يكن لديها أي رؤية ليلية أو مثبتات غرف الأسلحة. كان لدى المركبات القتالية المدرعة التابعة لحلف الناتو عموماً أنظمة أسلحة من ٢٠ إلى ٢٥ مم وكانت أوزانها القتالية منخفضة نسبيًا (١٥–٢٠ طن). بوجود هذا النوع من المركبات التي كانت ذات صورة ظلّيّة صغيرة ووزن قتالي منخفض، كانت هناك إمكانية لإجراء عمليات إنزال مظلية وعمليات برمائية.

استُخدِمَت هذه المركبات المدرعة بكفاءة مع هذا المستوى في عملية عاصفة الصحراء ودرع الصحراء في بداية التسعينيات من قبل الجيش الأمريكي والبريطاني. أثبت هذا المفهوم نجاحه خلال الاشتباك في التضاريس المفتوحة.

لكن مع انتقال ميدان المعركة إلى المدن، بدأ الوضع يتغير. من بداية التسعينيات، نفهم التغير في تصور التهديد في العالم من جراء الصراعات التي حدثت. تحدث التهديدات الآن بتكلفة أقل بكثير من ذي قبل، ولكن في هيكل أكثر تعقيداً. مع تزايد مستوى التعقيد، يصبح من الضروري تخصيص المزيد من الموارد المالية لحماية الأفراد والحركية اللازمين للتغلب على هذه التهديدات.



الشكل5-: التكتيكات في المدن

حروب اليوم أكثر تعقيداً من أي وقت مضى. وتكتسب تكتيكات حرب المدن أهمية متزايدة.

وبدأت التكتيكات الإرهابية تأخذ أهمية متزايدة في معايير تصميم العربات المدرّعة، فنحن نركِّز على معايير التصميم في تكتيكات حروب العصابات. فتجربة الحروب المريرة تعلِّمنا دروساً هامة لمعايير تصميم المركبات. نحن بحاجة لأخذ التهديدات التي تأتي من مختلف الاتجاهات وبنسبة ٣٦٠ درجة، أسطح البناء، من النوافذ حتى العبوات الناسفة والألغام والسيارات المفخخة، وقذائف المولوتوف والقنص. لذا يجب على القوات الاحتكاك بالعدو من أي جهة غير متوقّعة.

وفيما يتّصل بالحركة، فمهمتنا ليست التركيز على المناطق المدنية. المركبات المدرعة يمكن نشرها واستخدامها في مهام متعددة وفي ظروف جغرافية مختلفة، مثل: مهام الحركة التكتيكية، والتنقُّل الآمن، مهام الدوريات، وأمن OB/FOB وأعمال فرض القانون، وعمليات دعم السلام ومهام السيطرة على طرق الإمداد ...إلخ. يجب أن نأخذ كافة هذه المهام عند وضع معايير تصميم العربات المدرّعة. ويجب على هذه المركبات أن تكون سهلة الحركة لأداء كل هذه الأعمال.

ماذا عن التهديدات؟ ماذا عن التهديديات الآن؟ التهديدات آخذة بالتطور. لقد أنفقنا الملايين من الدولارات لحماية مركباتنا من قذيفة RPG التي لا يتجاوز ثمنها ٢٥٠$, وتظهر الأنوار المدنية

الساطعة ٤X٤ كوسيلة رئيسية للتنقل للإرهابيين في منطقة العمليات. وفيما عدا الأسلحة المضادة للدبابات، هناك قذائف الهاون، والعبوات الناسفة والألغام التي تشكِّل تهديدات رئيسية. المركبات المدرّعة الحديثة يجب أن تمتلك حماية ضد تهديدات محددة.



الشكل السادس: التهديد الجديد

مصطلح هجين هو مصطلح جديد نسبياً كما أنه ذو دلالة قطعية. تتضمن الحرب الهجينة تهديدات متماثلة وغير متماثلة. لم تتغير طبيعة ساحة المعركة منذ آلاف السنين. قال الاستراتيجي الصيني المعروف صن تزو إن "أسوأ سياسة هي مهاجمة المدن" منذ ٢٥٠٠ عام. الحرب الهجينة هي نفسها الحرب. إنها ليست نوعاً مختلفاً من القتال. فقط التهديدات تتطور وتتغير اعتماداً على التقنيات المستخدمة.

يمكننا أن نرى أيضا أمثلة عن التكتيكات غير المتماثلة في الصراع في فترات مختلفة من التاريخ. فالحملة الصليبية الأولى والحرب الثورية الأمريكية، وحرب الخلاص التركية هي أفضل الأمثلة على الحرب الهجينة. حرب الخلاص التركية هي واحدة من أفضل الأمثلة على الحرب الهجينة في وقتها، مع غارات الاستنزاف التي فرضتها قوات الميليشيا على العدو وصراع الجيوش النظامية ضد بعضها البعض. ونحن نعرف أيضا الجانب الهجين من ستالينغراد والحرب البوسنية.

مع نهاية التسعينيات، مع وجود العصر الرقمي، تغيّرت طريقة التعامل مع العمليات العسكرية. حاول جميع العاملين في المجال العملياتي تسجيل ما يجري هناك. لذلك، يجب على جميع

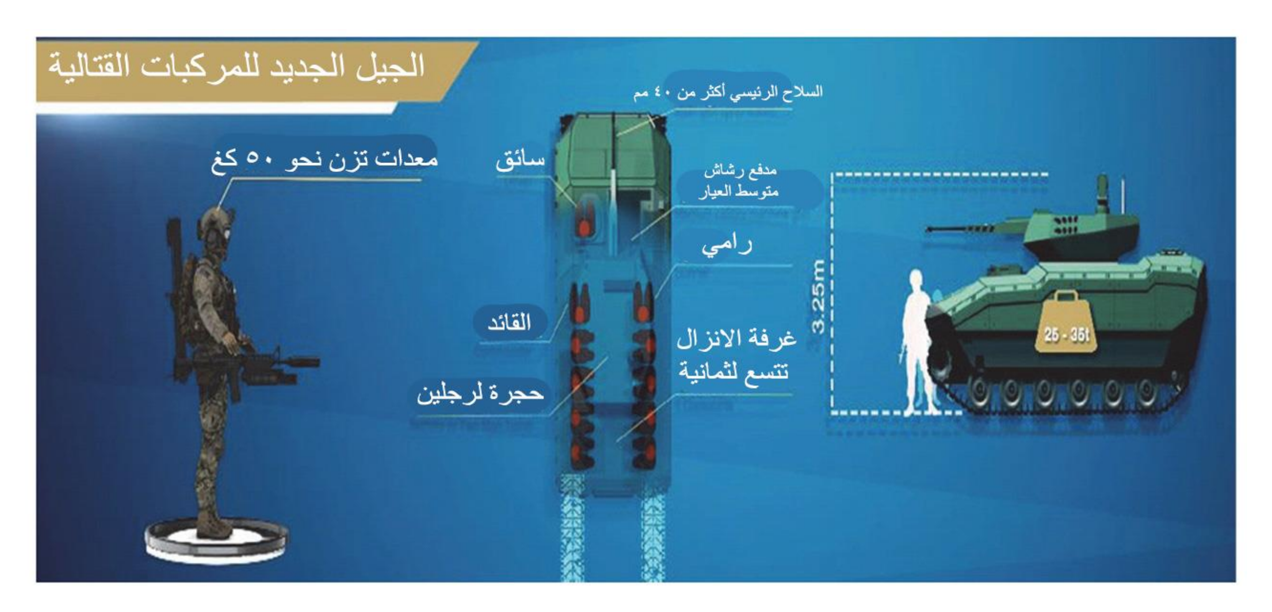
الوحدات القتالية إيلاء اهتمام خاص للأضرار الجانبية المحتملة والحقوق المدنية. نحن على دراية مهنية بأنه لا يمكننا استخدام قوتنا القتالية دون قيود. هذا الاستخدام النسبي للقوة غير مقبول. لذلك، تكتسب الدقة والتميز من حيث جميع الأنظمة والقدرات أهمية كبيرة حيث يتم تسجيل أي انتهاك للحقوق المدنية والأضرار الجانبية.

الصيغة الأساسية هي الدقة القصوى والتميُّز والحد الأدنى من الأضرار الجانبية. التكتيكات والأساليب والإجراءات والتدريبات والاستخبارات مهمة للغاية. ولكن في نهاية اليوم، حتى يتمكن المستخدم من ممارسة كل هذه الأمور، يجب أن يكون المُستَخدِم مُجهَّزاً بمعدات دقيقة ومتخصصة. هذه مجرد عيّنات منها: أنظمة إدارة ساحة المعركة، وأجهزة الاستشعار الصوتية، والمعدات الخاصة لحماية القاعدة، وروبوتات المهام، وأسلحة الطاقة الموجهة، وإمكانات الواقع الافتراضي، والرصاص المطاطي، وما إلى ذلك. على الرغم من أنه من الممكن نظرياً تصميم مركبة يمكن استخدامها ضد جميع التهديدات في ساحة المعركة والتي تؤدي جميع المهام في جميع الظروف، لا يبدو أن الاستدامة اللوجستية لهذه المركبة ممكنة. ونتيجة لذلك، فإن تفضيل المركبات الخاصة المحددة للمهام المحددة قدر الإمكان يُعَدُّ مطلَبَاً مُهِمَّاً.

فيما يتعلق بمفهوم المركبات القتالية للمشاة لعصر الحرب الباردة ومعدات المهمة الداخلية، تتمثل وظيفة مركبة القتال المدرعة في نقل المشاة إلى نقطة ساخنة في مركبة محمية بالكامل ضد كل أنواع تهديدات الجيل الجديد.

يوضِّح الشكل المتطلبات الجديدة ومعدات المهمة الجديدة. حيث يزداد حجم ناقلات الجند المدرعة وكذلك وزنها بشكل متزايد مع التغييرات في ساحة المعركة، والمتطلبات الجديدة، ومعدات المهمة الجديدة. قبل أن يترجل المشاة عن المركبة، يلزمهم مستوى معين من الراحة في المركبة بحيث يكون جميع المقاتلين جاهزين للقتال وفي حالة قوية. بعد فترة وجيزة، يجب أن تكون مجموعات المشاة نشطة ومستعدة للقتال عند الترجل. الوعي الظرفي مهم حقاً وسَتُستَخدَم العربات الجديدة حتى ٢٠٤٠–٢٠٥٠. ينمو الحجم الداخلي للمركبات بشكل مطَّرد من أجل حمل الأفراد والجيل الجديد من معدات المهام. زاد الحمل على الجندي من ٢٠ كيلوغراما إلى ٥٠ كيلوغراما. فمن المطلوب

وحدة تخزين داخلية إضافية لهذا، وللأحمال المماثلة لنقلها. كما زادت القدرة على الحركة والقوة النارية. يجب تحديد المتطلبات الجديدة لمركبة الجيل الجديد وفقاً للجندي المستقبلي ومعدَّاته القتالية.



الشكل السابع: الجيل الجديد من المركبات القتالية

بالإضافة للقائد والسائق والرامي، ظل عدد المشاة كما هو ولكن كانت هناك زيادة كبيرة في نسبة القوة إلى الوزن. جميع هذه المعدات الكبيرة للمهمة تعتبر مدمجة داخل المركبة. وأصبحت المركبات أثقل بكثير من ذي قبل. كانت ما بين ١٠-٢٠ طن في أوروبا في الحرب الباردة والآن بين ٢٥ و٣٥ طن. كما أننا نركِّز على المشاة، فالآن مشاة اليوم لديها المزيد من الأسلحة ويحملون ما يقرب من ٥٠ كجم من الحمل الخارجي. علينا أن نجد مساحة مخصصة لهذا الحمل في المركبة.

ستبقى مركبات الجيل الجديد حوالي ٤٠ عاماً في الاستخدام على الأقل. لذلك، خططنا لنمو بنسبة ٢٠٪ تقريبًا لدمج النظام الفرعي الإضافي وتحديث قابلية الحركة الفعالة وقابلية النجاة للمركبات في المستقبل. عندما يؤخذ ذلك في الاعتبار، يمكن زيادة مستوى الحماية باستخدام دروع نموذجية. يمكننا أن نسمي هذا باسم "قدرة نموذجية على النجاة ". والمعدات البرمائية أيضا مستقبل آخر لمركبات الجيل القادم التي تستخدمها الألوية الميكانيكية.

علاوة على ذلك، بدأ تطبيق بعض التقنيات الصاعدة على المركبات المدرعة. وسوف تستمر في المستقبل. ما هي هذه التقنيات الصاعدة؟ كيف سنرى المستقبل؟

يمكننا أن نعتبر هذه الأمور تطويرات للجنود في المقام الأول. إن وجود أنظمة هيكلية ميكانيكية لدعم المشاة بحيث يحملوا ما يصل إلى ١٠٠ كجم من الأحمال لن يكون أمراً مفاجئاً. سيندمج الجندي في نظام إدارة ساحة المعركة وكذلك المركبات ضمن مركبات الجيل الجديد.

بالإضافة إلى ذلك، تواصل بذل الجهود لتطوير روبوتات تقوم بأنشطة لوجستية عسكرية، وتنفِّذ مهام استطلاعية، وتتعامل مع الأجهزة المتفجرة في الظروف الصعبة. تواصل الأبحاث تطوير أنظمة أسلحة الجيل الجديد وأسلحة متحكمة عن بعد.

هناك حاجة إلى مزيد من الطاقة للأنظمة الإلكترونية مثل التمويه المتغير القابل للتكيف، وأنظمة الأسلحة الإضافية، وأنظمة الطاقة الموجهة عن بُعد، وأنظمة تبادل المعلومات الاستخبارية بين المنصات المختلفة التي سيتم دمجها في المركبات. لهذا الغرض، هناك حاجة إلى مولدات طاقة أكبر وأنظمة إدارة طاقة متقدمة. سنحتاج لذلك مساحة إضافية داخل المركبات.

نصل إلى الختام, كانت الحرب الهجينة موجودة عبر التاريخ. الحرب الهجينة هي الحرب نفسها. لكن التهديدات تتطور.

من الناحية النظرية، يمكن تصميم مركبة قادرة على العمل في جميع ظروف التشغيل، وتكون قادرة على العمل في جميع ظروف التضاريس، وتوفر الحماية من جميع التهديدات، ولكنها ليست مستدامة اقتصادياً ولوجستياً.

بدلاً من تصميم المركبات التي تحتوي على أفضل الخصائص، نحتاج إلى تصميم المركبات للمهام.

تصميم هاتف محمول أو ثلاجة أو حتى سيارة رياضية هي مهمة أسهل بكثير من تصميم مركبة مدرعة. لأن المهندس الذي صمم المركبة المدرعة لن يكون أبدًا المستخدم النهائي لهذه المركبة. نحن بحاجة إلى البدء في تصميم المركبات المستقبلية مع المستخدم النهائي من مجال العمليات.

وعندما نبدأ في تصميم وتطوير التقنية اليوم، ستكون جاهزة للاستخدام من قبل المستخدم النهائي في المستقبل.

لذلك، متى نبدأ؟ يجب ان نبدأ الآن. لأننا نعتقد أن المستقبل هو الآن.

الحرب السيبرانية في سياق الحرب الهجينة

سليمان أنيل *

قبل تحديد الحرب الهجينة وجوانب الدفاع الإلكتروني الخاصة بها، أود أن أقدم معلومات حول مقاربة الناتو الحالية للدفاع الإلكتروني كمنظمة. يتمثل الهدف الأول والأهم لسياسة حلف الناتو في مجال الدفاع السيبراني – كما هو متوقع كمنظمة – في حماية شبكاته الخاصة. واحدة من الحقائق غير المعروفة حول الناتو هي أن الناتو يدير شبكات القيادة والتحكم الخاصة به من أمريكا الشمالية إلى أفغانستان أو من النرويج إلى إفريقيا أينما كانت، وهناك قوات تابعة للناتو سواء كانت سفينة أو عملية نشر برية أو مقر منتشرون. وتحتاج هذه الشبكة دائماً إلى الحماية حتى يتمكن حلف الناتو، عند تكليفه أو أثناء مهامه اليومية، من أداء مهامه الأساسية الثلاثة دون أي عائق في البنية التحتية للمعلومات. وقد استثمرنا الكثير من أجل هذه الحماية والمركزية، حيث أن لدينا حماية مركزية الآن، يمكن لمركزنا الفني الموجود في مقر SHAPE إدارة ورؤية أجهزة الاستشعار سواء كانوا في أفغانستان أو في أي مكان يوجد فيه حلف الناتو. وقد مررنا مؤخراً بعملية تحديث تقني تبلغ حوالي ٨٠ مليون يورو من هذه الإمكانية، ولدينا بالفعل حزمتان للقدرات جاهزتان هذا العام، حيث سنستثمر أكثر ونجهِّز تقنيات وموارد أكثر تطوراً للدفاع الإلكتروني. الهدف الثاني لحلف الناتو هو – كما هو متوقع من الحلف – مساعدة الدول الأعضاء في مجالين رئيسيين؛ تنمية القدرات وبناء الكفاءات. لتطوير القدرات التي نستخدمها، منذ عام ٢٠١٣، نستخدم الأداة الرئيسية

لحلف الناتو – N.D.P.P. – عملية التخطيط الدفاعي لحلف الناتو التي لديها الآن أهداف محددة لقدرة الدفاع السيبراني.

يوجد الآن ثلاثة مشاريع دفاع ذكية نشطة، من النوع الأول من المشاريع. أولهما يتعلق بتطوير التقنية، والثاني يتعلق بالتدريب والتعليم والثالث يتعلق بمشاركة معلومات البرامج الضارة. بينما في بناء الكفاءات التي تدور حول الموارد البشرية بالطبع، ندربهم ليس فقط في مدارس الناتو، كما هو الحال في أوبراميرغو أو كلية الدفاع في روما أو مدرسة لاتينو التي نُقِلَت إلى البرتغال. لقد زاد عددهم جميعاً من الدورات التدريبية الخاصة بالدفاع الإلكتروني. كما أصبح تدريب كُلِّيتِنَا على الإنترنت الذي بدأناه في عام ٢٠٠٩ أكبر تمرين خاص بالدفاع الإلكتروني حيث شارك ٦٠٠ خبير في العام الماضي. كنت سعيداً لسماع أن تركيا – زملائنا في أنقرة – ستستضيف مؤتمر التخطيط لعام ٢٠١٦.

ومع ذلك، فإن أهم موقف سياسي للناتو هو قدرته على الردع دائماً. وفي قمة ويلز لعام ٢٠١٤، أصدر رؤساء الدول والحكومات إعلانًا عامًا ذكروا فيه أن هدف الدفاع الإلكتروني للناتو جزء من الدفاع الجماعي للناتو. تم ذكر المادة (٥) على وجه التحديد في نفس البيان العام الذي يؤكد أن القوانين الدولية السارية تنطبق على الفضاء الإلكتروني. وهذا يضع الإطار في حالة انضمام حلف الناتو إلى مجموعة الدفاع السيبراني، فما هي القيود أو الإطار القانوني الذي سيكون ضمنه؟ الآن البيان هو دائماً بيان سياسي. هناك دائماً أسئلة حول كيفية إعلان الناتو للمادة ٥ بسبب الهجمات الإلكترونية، والجواب على هذا السؤال هو أنه لا يوجد كتاب "ككتاب الطبخ" لأن ذلك سيكون قراراً سياسياً ويكون دائماً نتيجة لذلك.

هناك سياسة وراء كل ما يحدث في الناتو. في عام ٢٠٠٨ وافق حلف شمال الأطلسي على أول سياسة للمجلس والتي كانت بمثابة متابعة للهجمات الإلكترونية ضد إستونيا، والآن نقوم بتنفيذ السياسة الثالثة. كان لدينا سياسة بينهما. هناك خطة عمل ننفذها في الوقت الحالي، وفي القمة القادمة في وارسو، سيكون هناك على الأقل ورقتان، تُقدّمان في شهر أبريل وسيكون لهما تأثير

على السياسة الحالية. من المحتمل أن نتلقى مهمة من القمة إما لتحديث السياسة الحالية أو كتابة سياسة جديدة.

والآن، بالعودة إلى مناقشة الحرب الهجينة التي هي موضوع هذا الحدث، أود أن أبدأ بهذه الشريحة التي تأتي من أحد مؤتمرات ميونيخ الأمنية. هناك أوصاف أو تعريفات مماثلة للحرب الهجينة. لكنني أود التأكيد على أن تلك الهجمات الإلكترونية أو استخدام تأثيرات الإنترنت مصنفة كأحد مكونات الحرب الهجينة. في الواقع، يمكن أن تتسبب التأثيرات الإلكترونية في التأثير في جميع المجالات الأخرى سواء كان ذلك من خلال الرأي العام عن طريق وسائل التواصل الاجتماعي والبنى التحتية الحيوية في الدبلوماسية أو حتى إعداد ساحة المعركة. بحيث يجعل الإنترنت خاصاً ومختلفًا على الرغم من أن مبادئ الأمان العامة تنطبق أيضًا على الفضاء الإلكتروني. وهذا هو السبب في اعتبار الإنترنت في بعض الأحيان أو ذكرها كأداة اختيار في أي صراع اليوم. لا ينبغي أن تقيد مناقشة الحرب الهجينة زاويتنا على الصراع الحديث كيف نرى الصراع الحديث الآن أو في غضون خمس سنوات.

الآن نذكر بعض الأمثلة على الآثار الإلكترونية من أوكرانيا وما حدث في أوكرانيا. كانت هناك هجمات إلكترونية في أوكرانيا في وقت مبكر من عام ٢٠١٠. لذا فإن أحد الدروس المستفادة من أوكرانيا هو أنه **إذا كان لديك وعي جيد بالموقف في بلدك بشأن الأحداث الإلكترونية، فستتلقى بالفعل بعض المؤشرات المبكرة عمن قد يستهدفك ولأي غرض.** بدأ الخصوم في أوكرانيا في اختراق الشبكات الحكومية في أوكرانيا قبل عامين على الأقل من الصراع الفعلي على الأرض. لذلك خلال الحرب، كانت الهجمات الإلكترونية في الواقع مسألة يومية تقريباً لأن العمل كان بالفعل على الشبكات، سواء كانت تستخدم مخابر المتصيّدين في وسائل التواصل الاجتماعي الموجودة في بلدان أخرى أو التجسس على المكالمات الهاتفية بين كبار ممثلي الحكومة أو بين حكومة أوكرانيا وممثلي الاتحاد الأوروبي. ومع ذلك، هناك مثالان معينان متميزان. واحد هو تخريب نظام الانتخابات الأوكرانية والبرمجيات التي تسبب تأخير ٢٠ ساعة في الإعلان عن نتائج الانتخابات. خلال ٢٠ ساعة من التأخير، كانت هناك ادعاءات كاذبة بالنصر السياسي تسببت في ارتباك

وفقدان الثقة في السكان حول الانتخابات نفسها. تم حل المشكلة بعد ٢٠ ساعة لأنه منذ استخدام الأصوات الورقية، أعيد حساب الأصوات وتم الإعلان عنها. لمدة ٢٠ ساعة كانت نتائج الانتخابات موضع تساؤل.

إن ثاني أكثر حوادث الإنترنت إثارة للاهتمام هو في الواقع اعتباراً من شهر ديسمبر من العام الماضي مما يشير أيضًا إلى أن الحرب الهجينة لا تنتهي حقًا على الرغم من أن الأحداث على الأرض قد تصل إلى طريق مسدود سياسي أو عسكري. في ديسمبر ٢٠١٤، تعطلت اثنتان من مولدات الطاقة في أوكرانيا فجأة مما تسبب في انقطاع التيار الكهربائي الإقليمي في غرب أوكرانيا. وفي وقت لاحق تم الإعلان عن أنها كانت هجومًا إلكترونيًا، تم التخطيط له بالفعل في أبريل من نفس العام. لقد كان هجوما متعدد الأطراف مُخططاً ومُنسَّقاً بشكل جيد، بما في ذلك المكالمات إلى خطوط الطوارئ للحفاظ على الخط مشغولاً حتى لا يتمكن الآخرون من الإبلاغ والوصول إلى قواطع الدائرة الفعلية لإيقاف محطات الطاقة. تمكَّن الأوكرانيون من إعادة تشغيل محطات توليد الكهرباء بعد ست ساعات، عملياً باستخدام الضغط اليدوي لأنهم فقدوا السيطرة على الأنظمة. وما زالوا يستخدمون النظام اليدوي لأنهم ما زالوا يحاولون تنظيف البرامج والأجهزة التي تضمنت تخريب البرنامج الثابت لمحطة الطاقة.

كان هذا الهجوم أيضاً أول حالة مؤكدة لمحطة كهرباء يتم تعطيلها عبر الوسائل الإلكترونية. لم يكن الهجوم متطورًا جدًا ولكن تم التخطيط له بشكل جيد. درس آخر من هذا الهجوم هو أن الأعداء ليس لديهم إمكانية الوصول إلى التقنية المتطورة ولكن إذا قاموا بتحليل الأهداف بعناية، فسيكونون قادرين على الدخول. إذا كان لديهم الوقت الكافي للتوغل داخل النظام، ما يعني أن الوعي بالأوضاع لدى المضيف ضعيف، فقد أخذوا وقتهم من أبريل إلى ديسمبر ليدخلوا النظام ويلتفوا عليه وأخيراً عطّلوه في الوقت الذي يريدون. لأنه قبل أسبوعين قررت الحكومة الأوكرانية تقليص صلاحيات شبه جزيرة القرم ومن ثم كان هناك تقييم أن هذا كان بمثابة انتقام لنقص الطاقة الذي تسببت فيه الحكومة الأوكرانية.

ولماذا تعد الهجمات الإلكترونية أداة مفضلة؟ هناك أسباب وجيهة أحاول سردها هنا. إذا كان لديك مثل هذه القدرة، يمكنك أن تتسبب بمجموعة واسعة من الآثار. أينما كان هناك جهاز كمبيوتر، يمكنك إحداث تأثير سيبراني ولم يعد هناك مكان لم تعد فيه أجهزة الكمبيوتر موجودة. هناك عدد كبير من الأهداف. عدد الشبكات سيئة الحماية لا يصدق. وبالنسبة للخصوم، فهي مجرد مسألة بحث، وإجراء استطلاع ثم التقاط تلك الشبكات غير المحددة بدقة والتركيز على تلك الشبكات للدخول وإلحاق الضرر بها. تنطوي هذه العملية على مخاطر منخفضة للأعداء. كما أن اكتشاف الفاعل لا يزال يمثِّل تحدياً حيث يستغرق الأمر ما لا يقل عن أسبوعين أو ثلاثة أسابيع لمعرفة المسؤول. إنه أمر ممكن ويتحسن، لكن هذا العمل التخريبي منخفض المخاطر بالنسبة للمهاجمين فضلاً عن التكلفة المنخفضة. ونظراً لانتشارها العالمي، يمكِّنُك من استهداف أي ضحية أو أي هدف في جميع أنحاء العالم. ليس عليك أن تكون حتى في المنطقة. أيضاً لا تلامس الهجمات الإلكترونية عتبة التعريف القانوني للحرب. هذا يعتمد على النتيجة بالطبع، ولكن لا يمكن استخدامه لاحقاً لتلك الردود المحددة في ميثاق الأمم المتحدة أو القانون الدولي. ومن الناحية الفنية، إنه تقارب بين الحرب والإشارات الإلكترونية، وهو يجعل تلك المؤسسات في تلك الأعمال تجمع بين هذه القدرات ومن ثم لدينا قدرة واحدة يمكنها إطعام بعضها البعض.

ولكن هناك دائما تحديات. فالهجمات الإلكترونية ليست سهلة كما يدعي البعض. سيحتاج الخصوم إلى الوصول إلى التقنيات المتطورة حتى يتمكنوا من تنفيذ هجمات متطورة. تحتاج الهجمات الإلكترونية إلى تخطيط تفصيلي؛ وخطة الهجوم التي تم الإعداد لها لمدة عام قد تُلقى في سلة المهملات إذا قام الهدف أو الضحية بإجراء بعض التغييرات في شبكاته سواء كانت واعية أو غير واعية. حتى استبدال جدار حماية معين أو VPN أو ترقية نظام التشغيل قد يحول هذه الخطة بالفعل إلى القمامة. لا أرغب في ذكر القائمة بأكملها ولكن آخر ما في القائمة: في الواقع، لن يكون الهجوم السيبراني فعالاً ضد الشبكات المحمية جيداً ومن الممكن حماية الشبكات عند تصميمها بها بشكل صحيح.

كيف ندافع عنها؟ حتى وقت قريب اعتدت أن أبدأ بالمرونة. في الواقع أصبحت المرونة الآن هي الأداة الدفاعية الرئيسية ولكن الوعي بالأوضاع هو أمر بالغ الأهمية حقاً. ومن الأسهل تطبيقه ومراقبته والقيام به على المستويين التكتيكي والاستراتيجي. من خلال مشاهدة النواقل الإلكترونية، ما الذي يصطدم بالبوابات أو الشبكات الداخلية أو ما يترك الشبكة فعلاً. لأن أي تغلغل أو برامج ضارة داخل الشبكة ستحاول التواصل بهذه الطريقة. لذا، فمن خلال مشاهدة ما يترك لشبكتك فعلياً، ستظهر لك إشارة جيدة لمعرفة ما إذا كان هناك برنامج ضار أو اختراق في شبكتك وما الذي تحاول فعله. ثم لوضع هذا في المنظور هناك حاجة إلى تقييم استراتيجي. هناك حاجة للمحللين الذين وضعوا هذا في سياق سياسي يقيِّم ماهية الحملات. لم يعد هناك حادث واحد، ولكن هناك حملات. كل حادث نراه هو جزء من حملة تسمى أحيانًا A.P.T. مثل A.P.T. 28 أو A.P.T. 29. وراء كل حملة، هناك فاعل محدد. غالباً ما تكون دولة أو منظمة معينة في دولة معينة.

بمجرد توفر هذه المعلومات، فإن الحوادث التي تراها ستكون منطقية، وستحصل على إشارة مبكرة إلى معرفة المهاجم المحتمل. بعد ذلك سوف تفهم من الذي يحاول ضرب شبكاتك وكيف فعل هذا وما هي الأهداف. وهذه المعلومات مهمة للغاية ويمكن تحقيق هذا الهدف بواسطة مجموعة صغيرة من الأشخاص التقنيين والمحللين الذين يقومون بمعالجة الخلاصات القادمة من الشبكات. ستعكس هذه المعلومات أيضاً كيفية تطبيقك لكونك مرناً، وهو مورد هام جدا. تحتاج إلى إدارة المخاطر لأنك لن تضع دائماً نفس المستوى من الحماية على كل شبكة. ستقوم بإجراء تقييم للمخاطر وإدارتها، وإذا كنت تعرف من الذي يستهدفك، وكيف يأتون وما هي أهدافهم؛ جهد المرونة سيكون أبسط. إن المرونة ليست مجرد وسائل تقنية أو خطط لاستمرارية الأعمال، بل تحتاج دائماً إلى استراتيجية وطنية وخطة حوكمة ومركزية مع CONOPs (العمليات المُصممة) بحيث يعرف كل لاعب ما يجب القيام به أثناء الأزمة. ثم يحتوي على المكونات الرئيسية للجوانب الفنية والبشرية. والتعاون مع الصناعات أمر بالغ الأهمية. فيما يتعلق بتكييف حلف الناتو، فإننا نعمل عليه بشدة في اللجان الآن. في قمة وارسو ستكون هناك أوراق كما ذكرت من قبل.

في الختام، أود أولاً أن أذكر أن زملائنا، سواء في مكتب السفير سيلان أو أولئك الزملاء الذين يحضرون إلى اجتماعات الناتو من أنقرة، نشطون للغاية. على سبيل المثال، كانت هناك تطورات حديثة في هذا المجال مثل إنشاء القيادة السيبرانية في أنقرة. كان لها بالفعل تأثير وخلقت جهداً طيباً. تركيا هي الهدف. تُظهر المعلومات التي شاركناها مع جهات اتصالنا في أنقرة أن الشبكات التركية تُستهدف بانتظام بسبب التطورات الجيوسياسية في المنطقة. وتنطبق نفس المخاوف لدى معظم الحلفاء على تركيا أيضاً. ثلاث نقاط فقط، **أولاً**: السيبرانية هي أداة الاختيار في الصراعات الحديثة. **ثانياً**: الوعي بالأوضاع والمرونة هي المفتاح. **ثالثاً**: أوصي الزملاء هنا بمتابعة ما سيعلنه حلف الناتو علنًا أو في أوراق الناتو في نهاية قمة وارسو.

الفهرس